السيرة النبوية [١٠]

صفات النبي
صلى الله عليه وسلم

إعداد : عاطف عبد الرشيد

منبر التوحيد والجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، فكان كما قال الله لـــه : (**وَإِنَّـــكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**) [القلم : ٤] ، وقد سئلت السيدة عائشة – رضي الله عنها – عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان أحسن الناس خلقاً . كان خلقه القرآن ... لم يكن فاحشاً ولا متفاحشاً ، ولا صخاباً في الأسواق ، ولا يجزيء بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ثم قالـــت : اقرأ سورة المؤمنين .. اقرأ إلى العشر ؟ . فقرأ السائل ، فقالت : هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم . [مسلم والترمذي] .

بل جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الرسالة إتمام الأخلاق الحميدة . فعن أبي هريـــرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما جئت لأتمم صالح الأخلاق " [أحمد] .

خُلقه ﷺ

وكان صلى الله عليه وسلم لين المعاملة حتى مع خدمه ، وكان متباسطاً ، فقد كانـــت الأمـــة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ينزع يده من يدها حتى تذهب حيـــث شـــاءت ، ويجيب إذا دعى . [البخاري وأحمد] .

وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس تعليماً ، وأرفق الناس عند نصح أو تعليم الغير .

وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس على قدر عقولهم .

حلمه وعفوه ﷺ

كان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس حلماً ، وقد قال له ربه – عز وجل - : (**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْوا عَنِ الْجَاهِلِينَ**) [الأعراف : ١٩٩] .

ولما نزلت هذه الآية ، سأل الرسول صلى الله عليه وسلم جبريل عنها ، فقال : لا أدري فصعد ثم نزل ، فقال : يا محمد ، إن الله تبارك وتعالى أمرك أن تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك " [ابن مردويه] .

لذلك عفا صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة عندما فتحها ، على الرغم مما فعلوه معه .

وحلم الرسول صلى الله عليه وسلم كان فيما يتعلق بحق نفسه صلى الله عليه وسلم ، أما إذا كان الحق لله ، فإنما كان يتعامل بالشدة ؛ لقول الله له : (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**) [التحريم : ٩] .

حياؤه ﷺ

اشتهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياء ، حتى كان الصحابة يعرفون ذلك في وجهه ، فعن أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه . [متفق عليه] .

وكان من حيائه صلى الله عليه وسلم أنه لا يسأل من شيء إلا أعطى . [عبد بن حميد] .

رحمته وشفقته ﷺ

وصف الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالرحمة ، فقال تعالى : (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**) [الأنبياء : ١٠٧] ، ومن رحمته صلى الله عليه وسلم أنه كان كثير الدعاء لأمته .

وعرف عنه صلى الله عليه وسلم رحمته بالصغار ، وكان يخفف صلاته بالناس إذا سمع بكاء طفل رحمة بأمه .

وعرف عنه صلى الله عليه وسلم الرحمة والشفقة بالنساء ، وأوصى بهن خيراً .

تواضعه ﷺ

أمر الله – تعالى – رسوله صلى الله عليه وسلم بالتواضع ، فقال له : (**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**) [الشعراء : ٢١٥] .

وقد اشتهر عنه صلى الله عليه وسلم التواضع ، فكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ، ويلبس الصوف ، ويعقل الشاة ، ويجيب الضعيف والمسكين إلى الطعام [الحاكم] .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان ينقل التراب يوم الأحزاب ، وقد وارى التراب بياض إبطه . [البخاري] ،

وكان صلى الله عليه وسلم إذا سار مع أصحابه لا يسير أمامهم ، بل يسير وسطهم أو خلفهم . [أحمد] .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يرد دعوة إنسان ، بل كان يقول صلى الله عليه وسلم : " لو دعيت إلى كراع لأجبت " [الخطيب] .

وكان صلى الله عليه وسلم لا تغلق دونه الأبواب ، ولا يقوم دونه الحجاب ، فكان يقوم لكل من أراده ، ويقضي حاجة من يطلب منه المساعدة .

وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان يمر على الصبيان ، فيسلم عليهم .

ولما دخل صلى الله عليه وسلم مكة منتصراً ، دخلها وهو راكب دابته ، وذقنه على رحله متخشعاً . [الحاكم] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استقبله الرجل وصافحه ، لا يترع يده عن يـــده ، حتى يكون الرجل هو الذي يترع ، ولا يصرف وجهه عن وجهه ، حتى يكون الرجل هـــو الـــذي يصرفه ، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له . [الترمذي وابن ماجه] .

وكان من تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لا يحب الثناء الكثير عليه ، ولا يحب أن يقوم إليـــه أحد .

شجاعته ﷺ

فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق الناس نحو الصوت ، فتلقاهم رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم راجعاً ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبي طلحة عرى ، في عنقه السيف ، وهـــو يقول : " لم تراعوا ، لم تراعوا ، ما وجدت من شيء . [ابن سعد] .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أشجع ما يكون في الحرب والقتال ، فكان يثبت إذا فـــرّ الناس ، وقد كان الصحابة يعرفون شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، بل كانوا يحتمون به وقـــت الشدة .

كرمه وجوده ﷺ

اشتهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجود والكرم ، وما سئل صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا . [متفق عليه] .

وقد امتدح الشاعر الفرزدق النبي صلى الله عليه وسلم في كرمه وجوده ، فقال :

ما قال لا قط إلا في تشهده

لولا التشهد كانت لاؤه نعم

وعن أنس – رضي الله عنه – قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أعطاه ، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى أهله ، فقال : يا قوم ، أسلموا ، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ، وإن كان الرجل ليجيء إلى الرسول صلى الله عليهه وسلم وما يريد بذلك إلا الدنيا ، فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه من الدنيا وما فيها . [مسلم] .

خوفه وخشيته ﷺ

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الخشية لله ، تقول عائشة – رضي الله عنها - : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً قط ضاحكاً ، حتى ترى لهواته ، إنما كان يتبسم .

وعن أبي ذر – رضي الله عنه – قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الإنسان (**هَلْ أَتَى**) حتى ختمها ، ثم قال : " إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أطّت السماء ، وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلَك واضع جبهته ساجداً لله ، لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى ، والله إني لوددت أني شجرة تعضد " [الحاكم] .

شمائله ﷺ

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المعجزات والبركات ، منها تكثير الماء بين يديه صلى الله عليه وسلم ، فقد أوتي صلى الله عليه وسلم بإناء فيه ماء ، فوضع فيه يده ، وجاء الصحابة فتوضئوا منه ، وكانوا أكثر من ثلاثمائة .

ومنها تكثير اللبن في الإناء كما حدث مع أبي هريرة – رضي الله عنه – وأهل الصُفَّة ، وكم من مرة وضع يده على شاة لا تحلب فحلبت ، وسيرته في تكثير الماء والطعام أكثر من أن تحصى ، بل كان الطعام والشراب يسبحان بين يديه صلى الله عليه وسلم ، وقد سمع الصحابة التسبيح .

ولما اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم منبراً ، وترك جذع النخلة الذي كان يخطب عليه ، حن الجذع إليه ، وصاح صياح الصبي حتى تصدع وانشق ، فاحتضنه الرسول صلى الله عليه وسلم . [أحمد والترمذي] .

وقد سبح الحصى في يديه ، فسمع الصحابة له صوتاً كصوت النحل ، ثم وضعه في كف أبي بكر فسبح ، ثم في كف عمر ، ثم في كف عثمان ، فسبح . [الطبراني والبيهقي] .

وقد وقف الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه العشرة المبشرون بالجنة على جبل حراء ، ففرح الجبل ، فأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يثبت ويهدأ . [البخاري] .

ولما دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة عند فتحها ، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً ، فأشار إلى كل صنم بعصا ، وقال : (**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**) [الإسراء : ٨١] ، فكان كل صنم يسقط دون أن يلمسه الرسول صلى الله عليه وسلم بالعصا . [متفق عليه] .

وكان للنبي صلى الله عليه وسلم معجزات مع الحيوانات ، فقد هاج جمل عند حائط من حوائط بني النجار ، لا يستطيع أحد أن يمسكه ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ونادى الجمل ، فأتى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وبرك بين يديه . [مسلم] .

وجاءه صلى الله عليه وسلم جمل ، قد جرح ، وذرفت عيناه ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأسه إلى سنامه ، فسكن الجمل ، ثم قال لصاحبه : " أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكتها ، إنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه " [أحمد ومسلم] .

واشتكى علي بن أبي طالب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وجع عينيه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أراد أن يعطيه راية خيبر ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ، ودعا له ، فشفى حتى كأن لم يكن به مرض . [متفق عليه] .

خصائصه ﷺ

وقد اختص الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بكثير من الخصائص ، أهمها : أن الله قد أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به وينصروه ويبشروا به أممهم ، وقد جاء وصف الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة ، كما وُصِف أصحابه أيضاً ، كما أن الملائكة أظلته في سفره صلى الله عليه وسلم ، وأنه صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا ، وأنه رأى جبريل – عليه السلام – مرتين .

وخصه بأنه خاتم الأنبياء ، وسيد الناس ، وأكرم الخلق ، وأنه بعث للناس كافة ، وأن الجن آمنت به ، وأنه أُرسل رحمة للعالمين ، وأن شرعه مؤبد غير منسوخ ، وأنه ناسخ لما قبله من الشرائع ، وأنه نصر بالرعب مسيرة شهر ، وأنه من صلى عليه مرة ، صلى الله عليه به عشراً ، وأن صلاة أمته تبلغه وهو في قبره ، وأنه أوتي جوامع الكلم ، وجمع الله له القبلتين ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره .

وخصه الله دون الأنبياء بأشياء أهمها : إحلال الغنائم له ، والأرض كلها مسجد ، والتراب طهور ، وغير ذلك من الخصائص التي لا تعدُّ ولا تحصى ، مما اختص الله سبحانه بها نبيه صلى الله عليه وسلم .

خطبه ﷺ

خطب الرسول صلى الله عليه وسلم على الأرض ، وعلى المنبر ، وعلى البعير ، وعلى الناقة ، وكان له جذع نخلة يخطب عليه حتى صنع له منبر ، وكان إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، كأنه منذر جيش .

وكان إذا صعد المنبر ، أقبل على الناس بوجهه وقال : " السلام عليكم " وكان يختم خطبته بالاستغفار ، وكثيراً ما كان يخطب بالقرآن ، فعن أم هشام بنت حارثة ، قالت : " ما أخذت (**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**) إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس " [مسلم والنسائي وأبو داود] .

وكان صلى الله عليه وسلم يراعي حالة المخاطبين ومصلحتهم ، وكان يفتتح خطبته بالحمد والثناء ، ويتشهد فيها بالشهادة ، ويذكر فيها نفسه باسمه " محمد " صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا قام يخطب أخذ عصا ، فتوكأ عليها وهو على المنبر وكان منبره ثلاث درجات فإذا استوى عليه ، واستقبل الناس ، أذن المؤذن و لم يقل شيئاً قبله ولا بعده ، ولا يتكلم أحد أثناء خطبته . وكان إذا عرض له في خطبته شيء عارض ، اشتغل به ، ثم رجع إلى خطبته ، فقد كان يخطب ذات مرة في الناس ، فجاء الحسن والحسين يعثران في قميصين أحمرين . فقطع كلامه ، فنزل ، فحملهما ، ثم عاد إلى منبره .

وكانت خطبته قد تطول أو تقصر بحسب حاجة الناس ، ومراعاة أحوالهم ، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة .

مزاحه ﷺ

اشتهر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يمازح أزواجه ، ويمازح أصحابه ، وكثيراً ما كان يمازح الأطفال والصبيان ، فقد روى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى لرجل من أصحابه كان يبيع متاعه في السوق ، فاحتضنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يبصره الرجل ، فقال الرجل : أرسلني ، من هذا ؟ فالتفت ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره لصدر الرسول صلى الله عليه وسلم حين عرفه ، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " من يشتري العبد ؟ " فقال : يا رسول الله ، إذن والله تجدني كاسداً ، فقال صلى الله عليه وسلم : " ولكن عند الله لست بكاسد ، أو قال : ولكن أنت عند الله تعالى غالب " [أحمد] .

وكثيراً ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يمازح الحسن والحسين – رضي الله عنهما - ، ويحملهما على ظهره .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

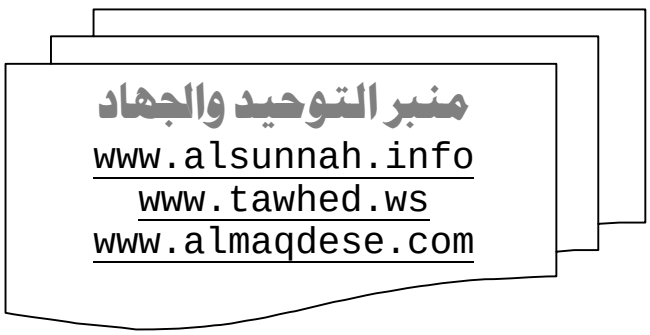

قصص
القرآن الكريم
(٢)

إعداد

عبد العزيز سيد هاشم

مصطفى أحمد عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

ما أحلى القرآن الكريم ! وما أحسن قصصه ! قال الله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) [يوسف : ٣] .

ومن يقرأ القرآن الكريم يجد فيه آيات كثيرة تتناول قصصاً متنوعة ومفيدة ، منها قصص الأمم السابقة مثل : قوم نوح ، وعاد ، وثمود ... وغيرهم ، ومنها قصص الأنبياء والرسل الذين دعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ومنها قصص لأناس ليسوا بأنبياء ، لكنهم آمنوا بالله ودعوا قومهم لعبادته ، ووقفوا مع الحق أمام الباطل .

وموضوعات قصص القرآن متعددة ، والمسلم العاقل الرشيد هو الذي يتعلم من القصص القرآني العبرة والعظة ، فيزداد إيمانه بالله سبحانه ، ويثق في أن الإسلام هو دين الله الذي يُصْلِح الله به الكون .

قلنبدأ أيها الأحبة بقراءة قصص القرآن الكريم ، كما تحكيها لنا آيات القرآن ، يقول الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [يوسف : ١١١] .

قصة إخوة يوسف

جعل الله سبحانه النبوة في ذرية إبراهيم ، فكان من بعده إسماعيل وإسحاق ، ورزق الله إسحاق يعقوب ، ورزق يعقوب اثني عشر ولداً من بينهم يوسف عليه السلام .

وذات ليلة ، رأى يوسف في منامه – وهو صغير – أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له ، فحكى رؤياه لأبيه يعقوب ، فعرف أن ابنه يوسف سينال منزلة عالية بحيث يخضع له إخوته وأبوه ، فأمره أن يكتم رؤياه ولا يقصها على إخوته حتى لا يحسدوه ويؤذوه .

ولاحظ إخوة يوسف أن أباهم يعقوب يحب يوسف محبة شديدة ، فحسدوه ، وتشاوروا في التخلص منه .

وفي أحد الأيام ، اجتمعوا وقال أحدهم : (**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ**) فصاح أحد إخوته ، وطلب منهم أن يلقوه في بئر ، لعل أحد المارَّة يجده فيأخذه .

ثم ذهبوا إلى أبيهم يعقوب ، وطلبوا منه أن يترك لهم يوسف ليلعب ويتنزه معهم ، فخاف يعقوب عليه السلام على يوسف من أن يأكله الذئب ، فأخبروا أباهم أنهم سوف يرعونه ويحفظونه ، فوافق يعقوب بعد أن رأى عزمهم على أن يحفظوه ويرعوه .

أخذ إخوة يوسف أخاهم ، وخلعوا عنه قميصه ، ثم ألقوه في البئر ، ولطخوا قميصه بالدم ، وجاءوا في المساء إلى أبيهم يبكون ، ويقولون : يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق ، وتركنا يوسف عند ثيابنا يحرسها ، فلما رجعنا إليه ، وجدنا الذئب قد أكله .

سمع يعقوب كلامهم وقلبه يتألم على يوسف ، وقد علم أن هذه مكيدة من إخوته ، فقال لهم : (**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**) .

وفي البئر ، أنزل الله – سبحانه – على قلب يوسف السكينة والاطمئنان . وبينما هو كذلك ، جاءتْ جماعة مسافرة إلى مصر ، فبعثوا أحدهم ليحُضر ماءً من البئر ، فلما ألقى الرجلُ الدلوَ في البئر تعلَّق به يوسف ، فلما رآه الرجل قال : (**يَا بُشْرَى هَذَا غُلامٌ**) . ثم أخرجه من البئر ، فأخذته القافلة ، وجعلوه ضمن بضاعتهم .

وفي مصر ، باعوا يوسف ، فاشتراه عزيز مصر ، وكان وزيراً على الخزائن ، ورأى في يوسف علامات النجابة والأصل الكريم ، فأمر امرأته أن تكرمه وتحسن إليه .

قصة يوسف وامرأة العزيز

في قصر عزيز مصر ، عاش يوسف عليه السلام تحت رعاية العزيز وزوجته ، وظلا يحسنان إليه ، ويعتنيان بتربيته حتى كبر وأصبح شابًّا قويًّا .

وكان يوسف شديد الجمال ، قوي الجسم ، فنظرت إليه امرأة العزيز ، فأعجبت به وأحبته . وتزينت له لتغريه بجمالها ؛ لكن يوسف أعرض عنها وغض بصره عن محاسنها . فانتظرت امرأة العزيز خروج زوجها العزيز من القصر فهيأت نفسها ، وأغلقت الأبواب ، وتعرضت ليوسف تريد منه أن يعصي الله ، فرفض بشدة ، وقال لها : (**مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**) ،

ورفض يوسف أن يفعل معها الفاحشة ، حتى لا يعصي الله سبحانه ، ولا يخون زوجها الذي أحسن إليه وربَّاه ، لكن امرأة العزيز أصرَّت على موقفها ، فأسرع يوسف إلى الباب ليخرج منه ، فأمسكت امرأة العزيز بثيابه ، فقطعتها من الخلف ، وفتح يوسف الباب وامرأة العزيز وراءه ، فوجدا العزيز قد حضر ، فأسرعت امرأته إليه تتهم يوسف ، وتقول : **(مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** ، فأسرع يوسف ينفي التهمة عن نفسه فقال : **(هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي)** . وشهد شاهد من أهل امرأة العزيز بالحق ، فقال : إن كان قميص يوسف قطع من الأمام فهي صادقة وهو كاذب ، أما إن كان قميصه قطع من الخلف فهي كاذبة وهو صادق .

فلما رأى العزيز أن القميص قطع من الخلف ، أدرك أن زوجته كاذبة ، وأن يوسف صادق ، فأمره أن لا يذكر ما حدث ، وقال لزوجته : **(اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ)** .

وشاعت قصة يوسف مع امرأة العزيز في المدينة ، وسمع النساء بما حدث ، فتكلمن عن امرأة العزيز ، وسخرن من فعلها ، فدبرت لهن حيلة كي يرين يوسف ، فيلتمسن لها العذر ، فدعتهن إلى قصرها ، وأجلستهن على فراش مريح ، وأعطت كلَّ واحدة منهن سكيناً للفاكهة ، ثم أمرت يوسف أن يدخل عليهن ، فلما شاهد النساءُ يوسفَ انبهرن بجماله ، وقطَّعن أيديهن بالسكين دون أن يشعرن بذلك ، **(وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)** ، فقالت امرأة العزيز لهن : هذا هو الفتى الذي تعجبتن من تعلقي به ، ولقد حاولتُ إغراءه فامتنع ، وإن لم يفعل ما آمره فسوف أسجنه وأهينه .

لكن يوسف عليه السلام لم يتأثر بتهديدها ولا بإغراء النسوة له . وتوجه إلى ربه يدعوه أن يصرف عنه كيد النساء ، ولو إلى السجن فإنه أحب إليه من الفاحشة والمعصية ، فقال : **(رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** .

قصة يوسف السجين

أمر الملك بأن يدخل يوسف عليه السلام السجن خوفاً من الفتنة وإثارة الشائعات ، ودخل معه رجلان ؛ كان أحدهما ساقياً للملك ، وكان الآخر خبَّازاً يصنع للملك الطعام .

وفي إحدى الليالي ، رأى كل من الخباز والساقي حُلماً ، فأسرعا إلى يوسف ، وأخبره الساقي أنه رأى نفسه يعصر عنباً . أما الخباز فقد رأى أن على رأسه خبزاً تأكل منه الطير ، وطلبا مَنْ يفسر

لهما ما رأيا . فاغتنم يوسف هذه الفرصة ، وأخذ يدعوهم إلى الله سبحانه ، ويبين لهم ضلال الكفر والشرك بالله ، ثم فسَّر للأول رؤياه بأنه سوف يخرج من السجن ، ويعود ساقياً للملك كما كان . وأما الخباز فسوف يُصلب وتنهش الطير الجارحة لحمه . ثم طلب يوسف من الساقي أن يذكر قصته عند الملك ، وأن يذكِّره بأن في السجن مظلوماً بريئاً .

وتحقق تأويل يوسف ، فعاد الساقي إلى الملك ، لكنه نسي أن يذكر له حكاية يوسف ، فظل يوسف سنين عديدة في السجن ، كان فيها يدعو إلى الله ، ويُحدِّث الناس عن الله الخالق العظيم .

قصة رؤيا الملك

في إحدى الليالي ، رأى ملك مصر في منامه سبع بقرات ضعيفات هزيلات يأكلن سبع بقرات سمان ، ورأى سبع سنابل يابسات جافات وسبع سنابل خضر ، ففرغ الملك من هذه الرؤيا ، ودعا رجال الدولة ، وحكى لهم ما رأى ، وطلب منهم تفسير تلك الرؤيا . فعجز الجميع عن تفسيرها ، وقالوا له : إنها مجرد أوهام وأحلام .

وعندما سمع الساقي ذلك ، تذكر يوسف في السجن ، وكيف أنه كان يفسر الأحلام بحكمة وصواب ، فاستأذن من الملك ليذهب إلى يوسف في السجن ويأتي له بتفسير تلك الرؤيا العجيبة .

ذهب الساقي إلى يوسف في السجن ، فقال له : (**يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ**) . ففسَّر له يوسف الرؤيا بأنه سوف تأتي على مصر سبعة أعوام كلها خير ونماء وخصوبة ، ثم تأتي بعدها سبع سنوات ينتشر فيها الجدب والجفاف وتقل الثمرات ، ثم يأتي عام يغمر الناس فيه المطر فينتشر الخير ، وأرشدهم يوسف إلى أن يزرعوا في الأعوام السبع الخصبة ، ويوفروا مما يحصدون بقدر الإمكان استعداداً لسنوات القحط والجفاف .

وذهب الساقي بتفسير الرؤيا إلى الملك ، فأدرك الملك مدى حكمة يوسف وعلمه ، فأمر بإحضاره ، ليضمه إلى أعوانه ويكون من خاصته .

فجاء رسول الملك إلى يوسف يطلب منه الحضور أمام الملك ، فرفض يوسف أن يخرج من السجن ، حتى تظهر براءته مما أثير حوله في قصة امرأة العزيز ، وقال لرسول الملك : (**ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**) .

قصة يوسف الوزير

علم الملك برغبة يوسف ؛ فأمر بإحضار النساء ، وسألهن عن تلك الواقعة ، فشهدن بالحق ، وظهرت براءة يوسف ، واعترفت امرأة العزيز ، فقالت : **(الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)** .

فلما ظهرت براءة يوسف أمام الملك أمر بإحضاره من السجن عزيزاً مكرَّماً ، وجعله وزيراً له على خزائن البلاد .

تولى يوسف المسئولية ، وفاض النيل بالماء ، وأنتجت الأرض محصولا وفيراً ، وعمَّ الخير ، وانتشر الرخاء سبعة أعوام ، حتى جاءت سنوات الجفاف والقحط التي امتدت من مصر إلى بلاد كنعان بفلسطين حيث يعيش إخوة يوسف .

وفي إحدى السنين ، جاء إخوة يوسف إلى مصر ليبيعوا ما معهم من بضاعة ويشتروا بها القمح .

ودخل إخوة يوسف عليه يطلبون منه القمح ، فعرفهم لكنهم لم يعرفوه ، ولم يتوقعوا أن الطفل يوسف الصغير الذي ألقوه في البئر قد أصبح وزيراً لمصر ، ولما اشتروا القمح ودفعوا ما معهم من بضاعة طلب منهم يوسف أن يُحضروا معهم في المرة القادمة أخاهم من أبيهم – وهو بنيامين أخو يوسف الشقيق – .

ثم أمر يوسف خدمه أن يردوا إلى إخوته بضاعتهم ويدسوها في أمتعتهم ، حتى يظنوا بوزير مصر خيراً ؛ فيعودوا مرة ثانية إليه ومعهم أخوهم بنيامين .

رجع إخوة يوسف إلى أبيهم ، وأخبروه أن الوزير لن يكيل لهم ، ولن يعطيهم مرة ثانية إلا إذا أحضروا أخاهم بنيامين معهم ، فتذكر يعقوب عليه السلام ما حدث ليوسف ، ورفض أن يعطيهم بنيامين ، وقال لهم : **(هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ)** .

ولما فتح إخوة يوسف أمتعتهم ، وجدوا بضاعتهم التي أخذوها معهم لكي يشتروا بثمنها قمحاً ، فأخبروا أباهم ، وطلبوا منه أن يصطحبوا أخاهم بنيامين ، وأعطوه عهداً بالمحافظة عليه وإعادته سالماً ، فاطمأن يعقوب ، وتركهم يأخذون بنيامين معهم إلى مصر .

وسافر إخوة يوسف إلى مصر ، ومعهم بنيامين ، ودخلوا على يوسف ، وكان يوسف قد دبَّر حيلة ليحتفظ بأخيه بنيامين إلى جواره في القصر ، فأخبره يوسف بحقيقته ، وأعطاهم القمح ، ثم وضع مكيال الملك فيما سيحمله بنيامين من الأمتعة . وحينئذ ، نادى المنادي بأن مكيال الملك قد سرق .

وكان عقاب السارق آنذاك أن يصبح عبداً للمسروق منه ، ففتشوا أمتعتهم واستخرجوا المكيال من بضاعة بنيامين ، وبذلك أخذ يوسف أخاه بنيامين واستبقاه معه ، وطلب الإخوة من يوسف أن يأخذ أحدهم بدلا منه ، فرفض ، وقال : (**مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ**) .

ولما يئسوا منه رجعوا ، ورفض أخوهم الأكبر أن يعود معهم ، وبقي في مصر ، وكانوا لا يعرفون أن الذي يحدثهم هو أخوهم يوسف ، فعاد الإخوة التسعة ، وتركوا كبيرهم ، فأخبروا أباهم بما حدث ، فلم يصدقهم ، وقال لهم : (**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**) .

وتذكر يعقوب عليه السلام ما أصاب يوسف من قبل ؛ فبكى بكاءً شديداً ، حتى عميت عيناه ، فأخذ أبناؤه يواسونه حتى يرحم نفسه من البكاء والحزن ، فقال لهم : (**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**) . ثم طلب منهم أن يرجعوا مرة ثانية إلى مصر ، فيبحثوا عن يوسف وأخيه ، وقال لهم : (**يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**) .

ذهب أبناء يعقوب إلى مصر ودخلوا على يوسف – وهم ما زالوا لا يعرفونه – وطلبوا منه أن يُحسن إليهم ، ويتصدق عليهم ، عندئذ قال لهم يوسف : (**هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ**) ؟ فأدركوا أنه يوسف ، فسألوه متعجبين : (**أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ**) ؟! فقال لهم : (**أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**) .

وهنا عَلَتِ الدهشة وجوههم ، وظهرت عليهم علامات الخجل والندم ، وأخذوا يعتذرون ويطلبون من يوسف أن يعفو عنهم ، فعفا عنهم .

وعلم يوسف بحال أبيه ، فأعطاهم قميصه ، وقال لهم : (**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**) .

قصة اللقاء

أخذ إخوة يوسف قميصه ، وخرجوا من مصر متوجهين إلى أبيهم ، فأحس يعقوب برائحة ابنه يوسف ، فقال لمن حوله : (**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ**) . واستمر يعقوب على أمله في لقاء يوسف .

ووصلت العير ، ودخل البشير على يعقوب بقميص يوسف ، فألقاه على وجهه ، فعاد إليه بصره ، فقال لأبنائه : (**أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**) ، فقال أبناؤه : (**يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**) .

فاستغفر لهم يعقوب ، وتوجهوا جميعاً إلى مصر ، فاستقبلهم يوسف ، وأنزل والديه منزلة كريمة ، وطلب منهم أن يقيموا في مصر آمنين . وسجدوا جميعاً ليوسف سجود تحية وتسليم .

وهكذا تحققت رؤيا يوسف ، فقال لأبيه : (**يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً**) . ثم توجه يوسف إلى ربه بالشكر والثناء قائلا : (**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**) .

وهكذا كان يوسف مثلا في الصبر والعفة والحياء والصفح والعفو .

قصة شعيب

كان أهل مدين يقطعون الطريق ، ويخيفون الناس ، ولا يعطونهم حقوقهم ، ويغشون في الكيل والميزان ، ويعبدون شجرة من دون الله سبحانه .

فبعث اللهم إليهم شعيباً عليه السلام ، فدعاهم إلى عبادة الله وحده ، وأمرهم بالعدل والإحسان ، ونهاهم عن ظلم الناس وإنقاص الكيل والميزان ، فرفضوا وقالوا مستهزئين : (**يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**) .

وبيَّن لهم شعيب أنه رسول من عند الله ، لا يريد لهم سوى الإصلاح ، وحذَّرهم من الاستمرار في الضلال حتى لا يحلَّ بهم العذاب كما أصاب قوم نوح وهود وصالح ولوط من قبلهم . وأمرهم أن يتوبوا إلى ربهم ، فقال : (**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ**) .

لكنهم عاندوه ، وهدَّدوه بأن يخرجوه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ، وطلبوا العذاب واستعجلوه .

فأنزل الله عليهم العذاب ، وزُلزلت الأرض من تحتهم زلزالاً شديداً ، وأرسل الله عليهم صيحة شديدة أهلكتهم ، وسحابة فيها نار وحرٌّ شديد أحرقتهم .

قصة أيوب

أنعم الله سبحانه على أيوب بالذرية الصالحة والأولاد الكثيرين وبالمال الوفير ، فشكر الله تعالى و لم يبخل بماله على الفقراء والمحتاجين .

واختار الله سبحانه أيوب ليكون من أنبيائه ، فأنزل عليه الوحي ، فازداد أيوب عبادة لله وإحساناً إلى الفقراء .

وشاء الله سبحانه أن يختبر أيوب ويمتحنه ويبتليه في كل ذلك ، ففقد جميع أمواله ، ومات كل أولاده ، وأصبح فقيراً لا مال له ولا ولد . ثم أصيب بمرض في جسده ، فأصبح ضعيفاً ، وانفض الناس من حوله و لم يَبْقَ إلى جانبه سوى زوجته الوفية المخلصة .

وظل أيوب مبتلىً ومصاباً في ماله وأولاده وصحته مدة طويلة ، لكنه لم ييأس من رحمة الله ، وتحمَّل كل ما أصابه بصبر جميل ورضا تام بقضاء الله سبحانه ، وتوجَّه إلى الله يدعوه ، ويقول : (**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**) .

وبعد صبر طويل ، أمره الله أن يضرب الأرض برجليه ، ففعل ، فتفجرت عين ماء صافية باردة ، فاغتسل منها يوب ، وشرب من مائها ، فشفاه الله ، وأصبح صحيحاً معافىً ، ثم ردَّ الله عليه أمواله ، ورزقه أولاداً آخرين صالحين . قال تعالى : (**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**) .

وهكذا كان أيوب عليه السلام مثلا في الصبر والرضا وطاعة الله سبحانه في الفقر والغنى ، وفي المرض والصحة .

قصة ميلاد موسى

علم فرعون بأن نبوءة انتشرت في بني إسرائيل بأنه سوف يولد فيهم صبي يكون هلاك فرعون على يديه ، فجمع حاشيته وكبار قواده ، ثم أمرهم بقتل كل طفل رضيع يولد في بني إسرائيل .

انطلق جنود فرعون يفتشون في الديار ، فإذا وجدوا طفلا رضيعاً قتلوه دون رحمة ، غير مهتمين بدموع الأمهات وتوسلات الآباء .

وكان هناك بيت صغير على ضفاف النيل ، ولد فيه طفل رضيع هو موسى ، ولم يصل إليه جنود فرعون .

وشعرت أم موسى بالقلق على مصير ابنها . فرحم الله ضعفها ، وأوحى إليها (**أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**) . فصدَّقت أم موسى وحي ربها ، واستجابت لأمره ، فوضعت ابنها الرضيع في صندوق صغير ، ثم وضعته في النهر ، وأمرت ابنتها أن تراقبه .

وظل الصندوق عائماً فوق سطح الماء ، حتى دفعه الموج بالقرب من قصر فرعون ، فالتقطته الجواري ، وأسرعن به إلى امرأة فرعون . فلما رأت الطفل أحبته ، وطلبت من زوجها ألا يقتله ، وقالت له : (**قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً**) ، فنزل فرعون على رغبة زوجته ، وتركه .

ففرحت امرأة فرعون به ، وأمرت بإحضار من ترضعه ، لكن الله سبحانه حرَّم عليه المراضع ، فلم يَقبل الرضاعة من أي امرأة ؛ فخافت زوجة فرعون عليه ، وأمرت بالبحث في كل مكان عمن ترضعه .

وكانت أخته تراقب الموقف من بعيد ، فقالت : (**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**) . فوافقوا ، فعادت البنت لتخبر أمها بالخبر ، فجاءت أم موسى ، وأخذت الوليد بين ذراعيها ، ثم قرَّبته من صدرها ، فرضع منها في الحال .

وفرح الجميع حينما رأوا موسى يرضع من تلك المرأة ، فطلبت أم فرعون من أم موسى أن تقيم عندها فترضعه ، فرفضتْ وتعلَّلتْ بأن لها زوجاً وأولاداً يحتاجون إلى رعايتها ، وعرضت أم موسى عليها أن تأخذه معها ، فوافقت وأعطتها أجراً نظير الرضاعة ، فعادت أم موسى بابنها إلى دارها راضية (**كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ**) .

قصة خروج موسى إلي مدين

عاش موسى في قصر فرعون حتى كبر ، وأصبح شابًّا قويًّا ، وكان يحب الخير ، وينصر المظلوم ، ويساعد العاجز والمسكين ، ويعين المحتاجين .

وذات يوم ، رأى موسى رجلا من قومه بني إسرائيل يتشاجر مع رجل مصري ، فاستغاث الإسرائيلي بموسى ، فوكز موسى المصري بعصاه ؛ فوقع ميتاً . فاستغفر موسى ربه وتاب وندم .

وأصبح موسى خائفاً يفكر فيما سيحدث لو عرف القوم بما جرى . ومرة أخرى تشاجر الإسرائيلي مع رجل آخر ، وطلب من موسى أن ينصره ، فغضب موسى منه ، وأخذ يؤنبه ويلومه على كثرة شجاره ، وقال له : **(إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ)** . وفوجئ موسى بأن الرجل يفشي سره ، ويقول له : **(يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ)** ، وانتشر الخبر بين الناس ، وعرفه فرعون ، فأمر بقتل موسى والانتقام منه .

وجاء رجل من أقصى المدينة إلى موسى ، وقال له : **(يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)** ، فازداد خوف موسى ، وخرج من مصرسريعاً ، خشية أن يدركه أحد من جنود فرعون ، واتجه موسى إلى الله يدعوه ، ويقول : **(رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** .

وظل موسى يسير في الصحراء ، حتى عبر سيناء ووصل إلى بلد تسمى مدين ، فوجد الناس مجتمعين حول بئر ماء ليسقوا أغنامهم ، ويأخذوا حاجتهم من الماء . وشاهد فتاتين تقفان بأغنامهما بعيداً عن الزحام ، فتعجب من ذلك ، ثم تقدم إليهما وسألهما عن سر ابتعادهما عن الناس ، فأجابتا بأنهما ينتظران حتى ينتهي الزحام ويبتعد الرعاة ، وأن سبب خروجهما من بيتهما هو ضعف أبيهما وكونه شيخاً كبيراً لا يقدر على العمل ، فقابل موسى هذا الحياء وهذه العفة من الفتاتين بالشهامة والنجدة ، وسقى لهما الأغنام .

وكان موسى متعباً مجهداً ، فجلس تحت ظل شجرة ، وظل يدعو الله سبحانه أن يُنزل عليه من فضله وكرمه قائلاً : **(رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)** .

وبعد قليل ، رجعت إحدى الفتاتين وأخبرته بأن أباها يريد أن يجزيه أجر السقاية ، فلما ذهب موسى إلى ذلك الأب ، وكان رجلاً صالحاً ، حكى له قصته ، فطمأنه الرجل بأنه قد ابتعد عن فرعون وقومه ، ثم عرض على موسى أن يتزوج إحدى ابنتيه مقابل أن يرعى له الأغنام ثماني سنين أو

عشراً ، حسبما يشاء ، فوافق موسى ، وتزوج واحدة منهما ، وعاش معه في أرض مدين عشر سنين .

قصة عصا موسى

اشتد بموسى الشوق لرؤية أهله ، بعد قرابة عشر سنوات عاش فيها بعيداً عن مصر ، فأخذ زاده ومتاعه ، وانطلق هو وزوجته ، وسارا حتى وصلا إلى سيناء .

ودخل الليل على موسى وأهله ، وكان الجو مظلماً وبارداً ، فرأى موسى ناراً تظهر من بعيد ، فقال لأهله : (**امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً**) .

فلما اقترب موسى من النار ناداه الله سبحانه : (**يَا مُوسَى ، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً ، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**) ، فلم يتمالك موسى نفسه من تلك المفاجأة ، فأزال الله عنه الرهبة وآنسه بالحديث ، فقال له : (**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**) ، فشعر موسى بالأمان ، ورد قائلاً : (**هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**) . فأمره الله بأن يلقي العصا من يده ، فألقاها ، فإذا بها تتحول إلى حيَّة ضخمة ، ففزع منها ، وفرَّ هارباً ، فناداه ربه : (**يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ**) . فاطمأن قلب موسى وعاد ، فقال له ربه : (**خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى**) ، فأمسك موسى الحية ، فإذا بها تعود عصاً كما كانت . ثم أمره الله سبحانه أن يُدْخِل يده في جيبه ثم يخرجها ، ففعل موسى فإذا به يجد يده بيضاء منيرة كالقمر .

وقد أعطى الله موسى تلك المعجزتين لتأييده في دعوته إلى فرعون ، وطلب موسى من الله أن يؤيده بأخيه هارون ؛ ليعينه ويؤازره ويساعده في الدعوة ، فاستجاب الله له . وانطلق موسى مع أخيه إلى قصر فرعون . ولما دخلا عليه قال له موسى : (**إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) ، فتكبر فرعون ، وقال له : (**وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**) ، فقال موسى في رفق ولين : (**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ**) .

فغضب فرعون ، ونظر إلى حاشيته يحرِّضهم ويثيرهم على موسى قائلاً : (**أَلا تَسْتَمِعُونَ**) ؟ فتوجه موسى هو الآخر إلى الحاضرين ، وقال لهم : (**رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ**) ، فثارت ثائرة فرعون ، وقال : (**إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ**) ، واستمر موسى يتكلم عن ربِّه ويقول : (**رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**) .

ثم نظر فرعون إلى موسى بغضب ، وقال وهو يهدده : (**لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**) ، فردَّ عليه موسى بثبات : (**أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ**) ؟ قل فرعون : (**فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**) ، فألقى موسى عصاه ، فإذا بها تتحول إلى ثعبان عظيم ، فاندهش القوم ، وارتعد فرعون من هول المفاجأة ، ثم أخرج موسى يده من جيبه ، فصارت بيضاء منيرة للناظرين . فاتهم فرعون موسى بأنه ساحر ، وتوعده أن يأتي له بالسحرة ليهزموه .

وجاء اليوم الموعود ، فأحضر فرعون السحرة من كل مكان وتجمَّع الناس ، فقال السحرة لموسى : (**إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ**) فطلب منهم موسى أن يبدءوا هم أولاً ، فألقوا حبالهم وعصيَّهم ، فسحروا أعين الناس ، حتى خُيِّل لهم أن الحبال والعصي ثعابين تزحف وتتحرك ، وهنا دعا موسى ربه ، ثم ألقى عصاه ، فصارت حية رهيبة عظيمة ، ابتلعت كل الحبال والعصي .

نظر السحرة في دهشة ، وعلموا أن ما صنعه موسى ليس من السحر ، وإنما هي معجزة من عند الله ، فسجدوا لربهم ، وأعلنوا إيمانهم بالله الواحد القهار ، فغضب عليهم فرعون ، وتوعدهم بالقتل والرجم والصلب ، ففضلوا الموت وهم مؤمنون على حياة الكفر والضلال .

مؤمن آل فرعون

كانت كفة موسى عليه السلام هي الأرجح ، فخاف فرعون أن ينحاز الناس إليه ، فلم يجد أمامه من سبيل غير أن يتوعد موسى بالقتل ويهدده ، فقال : (**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**) ، فلم يعبأ موسى عليه السلام بتهديد فرعون ووعيده ، وفوَّض أمره إلى الله ، وقال : (**إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**) .

وكان من قوم فرعون رجل آمن بموسى ، ولكنه كتم إيمانه عن الناس ؛ فلما علم هذا الرجل أن فرعون سيقتل موسى قال : (**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ، يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا**) .

وهنا أحس فرعون بأن موسى ليس وحده ، وأن أتباعه يتزايدون باستمرار ، وكان لزاماً عليه أن يستميل قومه إلى جانبه بالكذب عليهم ، فقال لهم : (**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**) ، ووجد المؤمن أن سبيل الإقناع الهادئ لم يأتِ بثمرة مع هؤلاء المعاندين ، فلجأ إلى وسيلة أخرى لعلهم يتذكرون ، فيخضعون لأمر ربهم ، فراح يذكر لهم أخبار الأمم السابقة ، وجزاء الأقوام الذين عصوا الله وكذَّبوا رسله ؛ فاستحقوا الهلاك ، فقال لهم : (**يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ، مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ**) ، ولكنهم لم يستجيبوا لندائه ، ولم ينتفعوا بقوله ، فسلك بهم طريقاً آخر للدعوة ، فوضعهم أمام مشهد مثير من مشاهد يوم القيامة ، فقال : (**وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**) .

ثم ذكَّرهم بما فعلوا من قبل مع يوسف ، فقال : (**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ**) .

وطلب فرعون المغرور من وزيره هامان أن يبني له بنياناً عالياً ليصعد إلى السماء عسى أن يرى إله موسى .

وهنا ازداد الرجل المؤمن إيماناً بأن فرعون يخدع قومه ويأخذهم إلى التهلكة ، وأنه يضللهم ويخدعهم بزعمه الكاذب ، فأراد المؤمن أن يبين للناس أن الرشاد في الإيمان بالله وبما يدعو إليه موسى ، فقال لهم : (**يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ، مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**) .

وكان الرجل فصيحاً بليغاً ، قادراً على التعبير عن دينه ومعتقده ، فاستطاع أن يدحض كثيراً من مزاعم فرعون وأكاذيبه ، ولم يَخَفْ من تهديدات فرعون ، بل إنه تعجب من حمقه وجهله إذ ظن أن العذاب يمكن أن يصرف المؤمن الحق عن دينه ، أو يثنيه عن تبليغ دعوته ، وقال في ثبات ويقين : (**وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ، تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ، لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**) .

وأحس الرجل المؤمن أن هؤلاء الضالين لن يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ، ففوَّض أمره إلى ربه ومولاه ، يفعل ما يشاء ويختار ، وكان آخر ما قاله لهم : (**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**) .

هلاك فرعون

واشتد أذى فرعون لبني إسرائيل ، فأمرهم الله أن يخرجوا من مصر ، وعلم فرعون بخروجهم ، فجمع جنوده ، وانطلق خلفهم ، فلحق بهم عند ساحل البحر ، فلما رآه بنو إسرائيل تأكدوا أنهم هالكون ، وأن فرعون سيلحق بهم ، فقالوا – وقد ملأ الفزع قلوبهم - : (**إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**) . فقال موسى في إيمان وثقة بالله : (**كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**) . فأوحى الله إليه أن يضرب البحر بعصاه ففعل ، فانفلق البحر نصفين ، وظهر في وسط البحر طريق ممهد صالح للسير ، فعبر موسى وقومه إلى الضفة الأخرى للبحر ، وكان فرعون وجنوده يتَّبعونهم ، فأمر الله سبحانه المياه أن ترجع كما كانت ، فأغرقت فرعون وجنوده جميعاً ، ولم يبقَ منهم أحد . ومشى بنو إسرائيل في الصحراء ، فاشتدت عليهم حرارة الشمس وحلَّ بهم التعب والإرهاق ، وشعروا بالعطش الشديد ، فظلوا يبحثون عن الماء طويلاً دون جدوى ، وكاد الظمأ أن يفتك بهم . فدعا موسى ربه راجياً عفوه وطامعاً في فضله ، وطلب منه أن ينقذ قومه ، فاستجاب الله لدعائه ، وأوحى إليه أن يضرب صخرة كبيرة بالعصا ، فضرب موسى الصخرة بعصاه ، فانفجرت من الصخرة اثنتا عشرة عيناً من الماء ، فشكروا الله كثيراً ، وشربوا حتى ارتووا .

قصة عجل بني إسرائيل

بعد أن خرج موسى عليه السلام بقومه من مصر ، ووصل سيناء ؛ حدَّد الله سبحانه له موعداً ليناجيه ويكلمه ، ويعطيه الألواح التي فيها شريعة بني إسرائيل .

فاستعد موسى لملاقاة ربه ، وترك هارون يتولى أمر قومه ، وأخذ عليهم المواثيق أن يتمسكوا بإيمانهم .

وبعد أن ذهب موسى ، أغوى الشيطان رجلاً منهم اسمه السامري ، فقد أخذ السامري الحُليِّ من الذهب والفضة التي يمتلكها بنو إسرائيل ، فصنع منها تمثالاً مجوَّفاً على هيئة عجل ، وكانت

الريح إذا دخلته ومرت في تجاويفه ، يخرج منه صوت يشبه خوار البقر ، ففرح بنو إسرائيل به كثيراً ، ثم دعاهم السامري إلى عبادته فعبدوه . وحاول هارون أن يردهم عن ضلالهم ، فقال لهم : (**يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي**) . ولكنهم عاندوا وأصروا على الإشراك بالله ، وقالوا : (**لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**) .

وبينما كان موسى يناجي ربه ، ويأخذ عنه التوراة ، أخبره الله سبحانه بما فعل بنو إسرائيل ، وأذن الله له في الانصراف ، فحمل موسى ألواح التوراة ، وعاد إلى قومه وهو غضبان ، فلما رآهم ألقى الألواح من يده ، وأمسك برأس أخيه هارون يجرُّه بشدة ، وقال له : (**يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ، أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**) . فقال هارون معتذراً : (**يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**) .

وعاقب موسى السامري على فعلته بأن نفاه عن قومه ، وأمرهم ألا يخالطوه ولا يَقْربوه ولا يكلِّموه فلا يمس أحداً ولا يمسه أحد . ثم قام موسى إلى العجل فحرقه وألقى برماده في البحر .

وعندئذ عاد بنو إسرائيل إلى رشدهم ، وندموا لكن الله لم يقبل توبتهم ، وقال : (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**) . وأوحى الله إلى موسى أن يأمر قومه بقتل من عبد العجل ، فنادى موسى قومه وقال : (**يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**) ، فأمسكوا بأسلحتهم ، وظل يقتل بعضهم بعضاً ، فقُتِلَ منهم في ذلك اليوم عدد كبير . وهكذا استحق بنو إسرائيل ما حدث لهم ، فقابلوا الإحسان بالإساءة والنعمة بالكفر ، (**وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) .

قصة بقرة بني إسرائيل

تربَّص رجل من بني إسرائيل برجل آخر ، ثم قتله وألقى جثته في الطريق .

وفي الصباح ، رأى بنو إسرائيل الجثة فارتفعت الأصوات بالصياح وكثرة الكلام ، واختلفوا فيمن قتله ، حتى كادوا أن يقتتلوا ، ثم ذهبوا إلى نبي الله موسى عليه السلام وأخبروه بما حدث ، فقام موسى وصلى ودعا الله – سبحانه – أن يظهر الحقيقة ، فأمرهم الله سبحانه أن يذبحوا بقرة ، ثم يضربوا القتيل بجزء منها ، فيقوم حيًّا من موته ، ويخبرهم بمَنْ قتله ، فقال لهم موسى : (**إِنَّ اللَّهَ**

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً) ، فلم يدركوا الحكمة من ذبح البقرة ، وظنوا أن موسى يسخر منهم ويستهزئ بهم ، فقالوا معترضين : **(أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً)** ؟! فقال : **(أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** .

فلما أدركوا خطأهم ، وعرفوا أنه وَحْيٌ من عند الله ، طلبوا من موسى أن يخبرهم بصفات تلك البقرة ، فأخبرهم أنها بقرة ليست كبيرة في السن ولا صغيرة ، لكنها وسط بين ذلك . ولأن موسى يعلم طبيعة بني إسرائيل وكثرة جدالهم ، نصحهم أن يسرعوا في تنفيذ أمر الله ، حتى لا يحلَّ عليهم غضبه .

لكنهم لم يستمعوا للنصح ، وقالوا : **(ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا)** ، لقد تشددوا وضيقوا على أنفسهم ، فاستحقوا أن يضيَّق الله عليهم ؛ فرد عليهم موسى : **(إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)** ، ومع ذلك لم ينفِّذوا الأمر ، بل ازداد عنادهم وجدالهم ، وطلبوا من نبيهم أن يسأل الله عن أوصاف أخرى ، فأعطاهم الله أوصافاً أكثر ندرة ، فأمرهم أن يذبحوا بقرة لم تُسْتَعْمَلْ في حرث الأرض من قبل ، و لم تُسْتَخْدَمْ في سقي الزرع ، وأن يكون لونها أصفرَ فاقعاً غير مختلط بلون آخر .

وهنا علم بنو إسرائيل أنه لا بد لهم من تنفيذ ما أمر الله تعالى به ، فقالوا لموسى : **(الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ)** ، فأخذوا يبحثون حتى عثروا على هذه البقرة ، ولكن صاحبها رفض أن يبيعها لهم إلا بثمن كبير جدًّا ، فاشتروها ، ثم ذبحوها ، وتوجهوا إلى موسى .

فأمرهم موسى أن يضربوا القتيل بجزء منها ، فلما فعلوا ذلك أحياه الله ، فقام وأخبرهم بالذي قتله ، ثم عاد ميتاً كما كان . وبذلك شاهد بنو إسرائيل تلك المعجزة بأعينهم ، وتأكدوا من قدرة الله – سبحانه – على البعث وإحياء الموتى .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

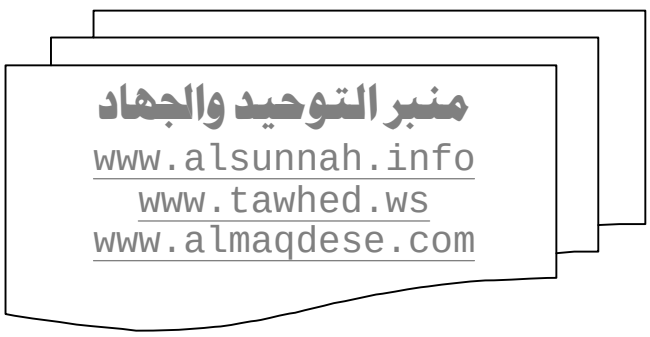

قصص
القرآن الكريم
(٢)

إعداد

عبد العزيز سيد هاشم

محمد محمود القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

ما أحلى القرآن الكريم ! وما أحسن قصصه ! قال الله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) [يوسف : ٣] .

ومن يقرأ القرآن الكريم يجد فيه آيات كثيرة تتناول قصصاً متنوعة ومفيدة ، منها قصص الأمم السابقة مثل : قوم نوح ، وعاد ، وثمود ... وغيرهم ، ومنها قصص الأنبياء والرسل الذين دعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ومنها قصص لأناس ليسوا بأنبياء ، لكنهم آمنوا بالله ودعوا قومهم لعبادته ، ووقفوا مع الحق أمام الباطل .

وموضوعات قصص القرآن متعددة ، والمسلم العاقل الرشيد هو الذي يتعلم من القصص القرآني العبرة والعظة ، فيزداد إيمانه بالله سبحانه ، ويثق في أن الإسلام هو دين الله الذي يُصْلِح الله به الكون .

قلنبدأ أيها الأحبة بقراءة قصص القرآن الكريم ، كما تحكيها لنا آيات القرآن ، يقول الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [يوسف : ١١١] .

قصة موسى والخضر

وقف موسى عليه السلام يوماً يخطب في قومه ، ويذكِّرهم بالله عز وجل وبالجنة ونعيمها وبالنار وعذابها ، حتى لانت قلوبهم ، ودمعت عيونهم ، فقام إليه رجل وسأله : يا نبي الله ، هل في الأرض أحد أعلم منك ؟ فقال موسى : لا .

فأوحى الله إليه أن هناك عبداً صالحاً أعلم منه ، فأراد موسى أن يتزوّد من علم هذا الرجل ، وينتفع به ، فخرج مع خادمه يوشع بن نون للبحث عن هذا العبد الصالح .

وبعد رحلة طويلة ، وجد موسى العبد الصالح جالساً ، فألقى عليه السلام ، فقال له : من أنت ؟ قال : موسى . قال الخضر : موسى نبي بني إسرائيل ؟ قال موسى : نعم ، قال : فما شأنك ؟ قال :

جئتك لتعلمني مما عُلِّمْتَ رُشْداً . فقال الخضر : أما يكفيك أن التوراة بيديك ، وأن الوحي يأتيك ؟ يا موسى إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه ، وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه . وفي هذا الوقت ، جاء طائر فوضع منقاره في الماء ليشرب ، فقال الخضر لموسى : والله ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر ، وأصرّ موسى على مرافقة الخضر ، ليتعلم من علمه ، فوافق الخضر بشرط أن لا يسأله موسى عما يراه ولا يعترض عليه حتى يبينه له ، فوافق موسى .

وانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، حتى مرت سفينة ، فركبا فيها . وبعد قليل ، فوجئ موسى بالعبد الصالح يخلع لوحاً من ألواح السفينة ، فتعجب موسى ، ولم يتمالك نفسه ، وقال معترضاً : (**أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً**) ، فرد عليه بهدوء : (**أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**) .

فتذكر موسى وعده للخضر بألا يعترض عليه ، فقال معتذراً : (**لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً**) ثم نزلا من السفينة ، وبينما هما يمشيان ، حدث أمر أعجب من ذلك بكثير ، فقد رأى العبد الصالح غلاماً يلعب مع أصحابه ، فأخذه بعيداً ثم قتله فاشتد غضب موسى مما رأى ، وقال له : (**أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً**) . فقال الخضر في هدوء الواثق من صحة ما يعمل : (**أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**) فأدرك موسى أنه خالف الشرط مرة أخرى بدون عذر ، فقال له : (**إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً**) .

فقبل العبد الصالح اعتذاره ، وانطلقا حتى وصلا إلى قرية من القرى ، فطلبا من أهلها بعض الطعام والشراب ، فرفضوا أن يعطوهما شيئاً .

وأثناء سيرهما في طرقات القرية ، وجدا جداراً يوشك على الانهيار ، فأسرع إليه العبد الصالح وأعاد بناءه ، فتعجب موسى من فعله ومن إصلاح الجدار لقوم بخلاء رفضوا أن يطعموهما ، ولم يأخذ منهم أجراً ، فقال موسى للعبد الصالح : (**لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً**) وعندئذ قال العبد الصالح لموسى : (**هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**) .

وقبل أن يفترقا أوضح العبد الصالح لموسى سر الأحداث التي رآها ، وتعجب منها ، فقال له : (**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً**) . فعلم موسى أن العبد الصالح لم يخرق السفينة ليفسدها أو ليغرق أهلها ، بل لعلمه

بأمر ذلك الملك الظالم الذي يأخذ كل سفينة جديدة صالحة من أصحابها رغماً عنهم ، فأراد العبد الصالح أن يعيبها بهذا الخرق ، حتى يتركها الملك لأصحابها وما أيسر أن يصلح أولئك المساكين السفينة وينتفعوا بها بعد ذلك . ثم قال الخضر : (**وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً**) لقد كان الغلام كافراً ، وكان أبواه مؤمنين ، وكانا يحبانه حباً شديداً فخاف العبد الصالح إن عاش ذلك الابن أن يوقع أبويه في الكفر والشرك ، بسبب حبهما له ، فأراد الله أن يعوضهما بولد آخر أكثر منه رحمة وبراً .

وقال : (**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً**) .

وهكذا يتضح لنا من هذه القصة أن فوق كل ذي علم عليماً ، وأن العلم عطاء ونعمة من عند الله يعطيها لمن يشاء من عباده ، وأن طلب العلم فرض من الله على عباده ، فلا يحسن بهم تركه . وها هو ذا نبي الله موسى عليه السلام رغم علمه الواسع ، يسافر ويتعب من أجل أن يتعلم شيئاً جديداً .

والمسلم يؤمن بأن الله لا يقضي إلا بالحق . وأن لكل قضاء حكمة ، وخلف كل قضاء سرّاً قد يدركه المرء ، وقد لا يدركه .

قصة قارون

كان قارون رجلاً من بني إسرائيل ، من قوم موسى ، أنعم الله عليه بخيرات كثيرة ، وأموال وفيرة ، وكنوز لا يقدر مجموعة من الرجال الأشداء على حمل مفاتيح خزائنها ، قال تعالى : (**وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ**) [القصص : ٧٦] .

ولكنه لم يحمد الله على هذا الثراء ، بل تمادى في معصية الله والخروج على طاعته .

فلما وجده قومه على تلك الحال ، نصحوه بألا يتعالى ويتكبر بماله على خلق الله ، ولا ينشغل عن الفقراء ، ولا ينسى المحتاجين ، بل يحسن إليهم كما أحسن الله إليه ، فسَخِرَ قارون منهم ، واغترّ بقوته ونسب الفضل كله لنفسه ، وزعم أنه حصل على ذلك المال بعلمه وجهده ، فقال : (**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**) .

ونسي قارون أن الله قد أهلك من الأمم قبله مَنْ هم أكثر منه مالاً وأوسع علماً . و لم يستمع قارون لنصح ولا إرشاد . وذات يوم ، خرج على قومه في كامل زينته ، حوله موكب هائل من الخدم .

فلما رآه أصحاب القلوب الضعيفة ، الذين لا يدركون حكمة الله ﷻ وغرهم الحياة الدنيا بنعيمها الزائل : قالوا : **(يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)** .

أما الذين أنعم الله عليهم بالعلم والإيمان والرأي الحسن ، فقالوا لهم : **(وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ)** .

ولما لم ينتفع قارون بالنصح ، بل كاد أن يفتن بعض الضعفاء في دينهم ، عاقبه الله أشد العقاب ؛ فخسف به الأرض هو وقصوره وأمواله ، قال تعالى : **(فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ)** [القصص : ٨١] .

ولما عرف الناس ما حدث لقارون أدركوا أن الله أعطاه المال ليختبره ؛ أيشكر أم يكون من الكافرين ، قال تعالى : **(وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)** [القصص : ٨٢] .

وهكا جعل الله قارون عبرة لكل من يسيء استخدام نعم الله ، فيتكبر ويفسد في الأرض ظناً منه أن ماله وجاهه وسلطانه سيحمونه من عذاب الله .

قصة طالوت وجالوت

عاش بنو إسرائيل في ذل وهوان ، فكانوا لا يستطيعون دخول الأرض المقدسة في فلسطين ، فبعث الله – سبحانه وتعالى – إليهم نبيًّا ، فقالوا له : نريد ملكا يحكمنا ويقودنا إلى القتال في سبيل الله حتى نرجع إلى ديارنا وأبنائنا .

فقال لهم النبي : **(إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً)** فاعترض بنو إسرائيل ، وقالوا : كيف يكون طالوت الفقير ملكاً علينا ؟! فأخبرهم نبيهم بأن الله سبحانه اصطفى طالوت وفضّله عليهم ، وآتاه من العلم والحكمة والقوة في الجسم ما لم يؤتِ غيره ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم .

وتولَّى طالوت المُلك ، وحكم بني إسرائيل ، وأخذ يستعد للجهاد والقتال ضد عدوهم جالوت ، فتجمع بنو إسرائيل حوله ، وأراد طالوت أن يختبرهم ويمتحنهم هل يصبرون على القتال وتحمل الشدائد ، أم يفرون أمام الأعداء ؟ فسار بهم في الصحراء لمسافة طويلة ، ثم أخبرهم أنهم سوف يمرون على نهر ، فمن أراد أن يسير معه فلا يشرب من مائه إلا أن يغترف غرفة بيده ، فلما وصلوا إلى النهر شربوا منه إلا عدداً قليلاً من الجنود الصابرين .

ولما عبروا النهر ، رأوا جيش جالوت كثير العدد والعدة فخافوا ، وقالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده . فقال المؤمنون الصابرون رداً عليهم : (**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**) ، ثم توجهوا إلى الله – سبحانه وتعالى – يدعونه أن ينصرهم ويؤيدهم على عدوهم جالوت ، وقالوا : (**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**) .

وكان في جيش طالوت شاب صغير السن قوي الإيمان ، هو داود عليه السلام ، فتقدم داود وقتل عدوهم جالوت ، وانتصر بنو إسرائيل على أعدائهم .

وبعد موت طالوت – ملك بني إسرائيل - ، تولى داود حكم بني إسرائيل ، وآتاه الله الملك والحكمة ، فجعله مَلِكاً ونبياً لبني إسرائيل .

قصة الخصمين

ذات يوم ، كان نبي الله داود عليه السلام يجلس في محرابه يعبد الله سبحانه ، وفجأة رأى داود رجلين أمامه فخاف منهما ، فطمأناه وأخبراه بأنهما خصمان يريدان أن يحكم بينهما .

واشتكر أحدهما بأن أخاه أخذ نعجته ليضمها إلى نعاجه ، وقال : (**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**) . ولما سمع داود ذلك حكم ببطلان هذا الفعل ، فقال : (**لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**) .

وفجأة اختفى الرجلان ، فعلم داود أنهما ملكان جاءا لينصحاه بأن يستمع إلى الخصمين قبل أن يحكم بينهما ولا يكتفي بسماع أحدهما ، فاستغفر داود ربه ، وخرّ ساجدا لله رب العالمين . ثم أمر الله – سبحانه – داود أن يحكم بين الناس بالعدل ولا يظلم أحداً ، فقال تعالى (**يَا دَاوُدُ إِنَّا**

جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) [صّ : ٢٦] .

قصة الحرث

كان نبي الله داود يحكم بين الناس في خصوماتهم ومشاكلهم ، وقد رزقه الله سبحانه ذرية صالحة ، وأنعم عليه بولد صالح هو سليمان . وذات يوم ، كان رجل يرعى أغنامه فدخلت الأغنام في أرض مزروعة ، وأكلت ما فيها من زرع وأفسدته ، فذهب صاحب الأرض يشتكي صاحب الأغنام إلى داود عليه السلام . فحكم داود بأن يأخذ صاحب الأرض الأغنام في مقابل إفسادها للحرث والزرع ، وعلم سليمان بذلك ، فأشار بحل آخر في تلك القضية ، وهو أن يأخذ صاحب الأرض الأغنام فينتفع بها حتى ترجع له أرضه كما كانت ، وأن يأخذ صاحب الغنم الأرض فيصلحها ويزرعها حتى تعود كما كانت ؛ فيُسلِّمها لخصمه ويأخذ أغنامه . ولما علم داود بهذا الحكم أُعجب به وقضى به بين الرجلين . وأشار الله سبحانه إلى تلك القصة في القرآن الكريم ، فقال تعالى : (**وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ**) [الأنبياء : ٧٨ – ٧٩] .

قصة نملة سليمان

ورث سليمان عليه السلام الملك عن أبيه داود ، وعلمه الله لغة الطير ، وأعطاه من كل النعم ، فسخّر له جنوداً من الجن والإنس ، قال تعالى : (**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ، وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**) [النمل : ١٦ – ١٧] .

وفي يوم من الأيام ، خرج سليمان بجيوشه من الجن والإنس والطيور ، وجعل على كل جيش من هذه الجيوش الثلاثة من ينظمون الصفوف ، وسارت هذه الجموع الكثيرة حتى اقتربت من واد فيه مساكن للنمل ، فلما رأت نملة موكب سليمان قد اقترب ، نادت النمل قائلة : (**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**) سمع سليمان حديث النملة ،

وفهمه ، فتبسم ضاحكاً من قولها ، وقال : (**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**) .

قصة سليمان والهدهد

كان الهدهد واحداً من جنود سليمان عليه السلام وفي يوم من الأيام ، تفقّد سليمان جنوده من الطير فلم يجد الهدهد ، فتوعده بالعذاب الشديد لغيابه دون إذن ، وأعلن أنه لن ينقذ الهدهد من العذاب أو الذبح إلا أن يأتي بحجة قوية توضح سبب غيابه ، فقال سليمان : (**مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**) .

وعاد الهدهد بعد فترة قصيرة ، وأخبرته الطيور بما قاله سليمان ، فأسرع إليه ، وقال له : (**أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ**) وواصل الهدهد كلامه ، ليعلن تعجبه من صنيع أولئك الناس ، فقال : (**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ، اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**) .

ولما قص الهدهد على سليمان عليه السلام ما رآه في سبأ – إحدى ممالك اليمن القديمة - ، لم يتعجل سليمان عليه السلام الرد على ما قاله الهدهد ، لكنه تمهل وقال : (**سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) ، وتدبر سليمان فيما سمعه ، فقرّر أن يرسل الهدهد برسالة ، فقال له : (**اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**) .

فأخذ الهدهد الرسالة ، وطار بها إلى أرض سبأ ، وواصل طيرانه حتى قصر الملكة بلقيس ، فألقى الرسالة على كرسيها ، ثم انتظر ليراقب ما يحدث ، وفتحت الملكة الرسالة وقرأت ما فيها ، ثم أحضرت مستشاريها ووزراءها وقالت لهم : (**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**) ثم قالت : (**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ**) فتشاوروا فيما بينهم ، وقالوا : (**نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**) .

وكانت ملكة سبأ امرأة عاقلة حكيمة ، فهداها تفكيرها إلى أن تختبر سليمان ، فقالت لقومها : (**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ، وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**) . إنها حيلة خرجت من عقل ذكي خبير بأحوال الملوك والحكام ، بصير بحقيقة أمرهم ، وإنما أرادت بتلك الحيلة أن تعلم إن كان سليمان من هؤلاء الملوك ، أم هو من المهتدين الداعين إلى وحدانية الله تعالى . فلو كان نبيًّا ؛ فسوف يرفض المال .

وجاء رسل الملكة إلى سليمان ، يحملون معهم الهدايا العظيمة والجواهر الثمينة ، فلما رآهم سليمان ، علم أنهم يُغْرُونه بالمال ، فغضب غضباً شديداً ؛ لأنهم ظنوا فيه هذا الظن السيّئ ، وقال : (**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**) ، ثم هدّد أميرهم قائلاً : (**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**) .

وعادت الرسل إلى الملكة بلقيس ، وأبلغوها رسالة سليمان ، ونقلوا لها ما رأوه من عِظَم ملك سليمان فعلموا أنه نبي حقًّا ، وأنه صاحب دعوة لا يساوم عليها ، ولا يرجو بها بديلاً ، فاستقرّ رأيهم على مسالمته ، فتوجهوا إليه مستسلمين ، فلما علم سليمان بقدومهم ، قال لمن حوله من الإنس والجن : (**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**) فأسرع عفريت من الجن فقال : (**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**) ظن ذلك العفريت أن سرعته لا تُسْبَق ، وأن قوته لا تُقْهَر . فقال رجل من أهل العلم والتقوى : (**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**) أي قبل أن تغمض عينيك ، ثم تفتحهما ، ثم دعا الله تعالى ، فاستجاب الله له ، فأحضر العرش في لمح البصر . فلما وجد سليمان العرش أمامه قال : (**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**) .

ثم أمر سليمان جنوده بأن يغيِّروا بعض معالم العرش ليختبر ملكة سبأ ، فقال لهم : (**نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ**) كما أصدر أوامره بأن يُبْنَى قصر فخم من الزجاج ، تجري المياه من تحته . فلما جاءت بلقيس ودخلت على سليمان ورأت العرش عنده ، قيل لها : (**أَهَكَذَا عَرْشُكِ**) فنظرت إليه ، فقالت : (**كَأَنَّهُ هُوَ**) وقد استبعدت أن يكون هذا الذي تراه هو عرشها الذي تركته في أرض اليمن . ثم أمر سليمان أن يُدخلوها ذلك القصر ، فقيل لها : (**ادْخُلِي الصَّرْحَ**) ، فدخلته ، فظنت أن أمامها بقعة مملوءة بالماء فرفعت طرف ثوبها حتى لا يبتل ، فأخبروها بأن الماء لن يصل إليه ، وبأن القصر إنما هو من زجاج تجري المياه من تحته .

وهناك أدركت أن هذا الأمر ليس من صنع البشر ، وأن هناك قوى أخرى هي التي ساعدت سليمان على فعل ذلك ، وأن سليمان نبي مرسل ، فقالت : (**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) .

وهكذا يتضح لنا من قصة الهدهد مع سليمان أن العبودية لا تكون إلا لله رب العالمين ، رب العرش العظيم . وأن العبد إذا أنعم الله عليه بنعمة يجب عليه أن يؤدي شكرها كما فعل سليمان عليه السلام ، وأن الإنسان إذا ضلت به أهواؤه ثم تبين له الحق دون عناد أو مكابرة كما فعلت ملكة سبأ . وأن الداعي إلى الله أبعد الناس عن ملذات الدنيا وشهوات النفس .

قصة أصحاب السبت

كان اليهود يعظِّمون يوم السبت ، ويجعلونه عيداً لهم ، ينقطعون فيه إلى عبادة الله سبحانه ، ويتركون أعمالهم وكل ما يشغلهم ، وأراد الله سبحانه أن يختبر إحدى القرى اليهودية الواقعة على البحر ، والتي يعمل أهلها في صيد الأسماك ، فكان أهل هذه القرية لا يصطادون السمك في يوم السبت لأن ذلك مُحَرَّم عليهم ، بينما يصطادونه في سائر الأسبوع .

وبينما هم كذلك شاهدوا أن الأسماك تكثر وتقترب من الشاطئ بأعداد كبيرة وفيرة في يوم السبت فقد ألهمها الله ذلك ، فإذا انتهى يوم السبت رجعت الأسماك إلى قاع البحر ، فلا يستطيعون صيدها إلا بمشقة وصعوبة .

ولما تكرر ذلك ، ووجدوا أن السمك يكثر يوم السبت ويختفي باقي أيام الأسبوع احتالوا على الصيد في يوم السبت ، فوضعوا المصائد وحفروا القنوات التي تجتذب الأسماك ؛ بحيث تدخل فيها ، فإذا حاولت الرجوع إلى البحر لم تستطع ، فيأتي اليهود بعد انتهاء يوم السبت فيأخذون تلك الأسماك .

وهكذا احتال كثير من اليهود على أمر الله سبحانه وحاول بعضهم أن ينصح هؤلاء المعتدين الظالمين ويدعوهم إلى التوبة والرجوع عما هم فيه لكنهم لم يستجيبوا لنصح ، ولم يسمعوا لإرشاد وتمادوا في ضلالهم ، وصادوا السمك في يوم السبت علانية ، ولم يُنَفِّذوا ما في شريعتهم .

ولما فعلوا ذلك عاقبهم الله سبحانه وتعالى أشد العقاب ، فحوَّلهم إلى قردة ، وأصابهم بعذاب شديد أهلكهم وأبادهم ، ونجَّى الله سبحانه المؤمنين الذين كانوا ينهونهم عن الفساد . يقول تعالى : (

وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ، وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ، فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [الأعراف : ١٦٣ – ١٦٦] .

قصة عزير

عُزَيْر رجل صالح حكيم من بني إسرائيل ، وهبه الله علماً غزيراً ، فلم يكن أحد أعلم ولا أحفظ للتوراة منه .

خرج ذات يوم راكباً حماره ، فمر على قرية خربة ؛ بيوتها متهدمة ، كأنها كهوف مهجورة ، فأحس بالوحشة ، وشعر بالتعب والإعياء من طول السير ، فنزل ليستريح .

وفي ظل إحدى الديار المتهدمة ، جلس عزير وأخرج سلة فيها طعامه وشرابه ، وبدأ في إعداد ما سيأكله ، إلا أن عقله راح يفكر فيما حوله من خراب ، فتساءل : كيف يمكن أن تنشأ في هذه القرية حياة من جديد بعد كل هذا الدمار ؟! وقال : **(أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا)** ؟

وأراد الله أن يُرِيَ عزير آية من آياته ، فأرسل إليه ملك الموت فقبض روحه ، وأمات حماره . ثم تركه على تلك الحالة مائة سنة ، بليت فيها الأجساد ، فلم يبق منها إلا عظام نخرة ، ثم ردّ الله إليه روحه فعاد حيًّا كما كان . وتلفّت عزير حوله ، فوجد طعامه الذي أعدّه ليأكله لم ينقص و لم يفسد ، لكن .. أين الحمار ؟! نظر يميناً وشمالاً فلم يجده ، ثم رأى عظاماً بجانب طعامه لم يكن رآها من قبل . إنها عظام حمار ، يبدو أنه مات منذ زمن بعيد .

تحيّر الرجل في أمره ، وتملّكه الذهول ، فتداركته رحمة الله تعالى ، وأرسل الله إليه مَلَكاً يسأله : **(كَمْ لَبِثْتَ)** ؟ . نظر الرجل إلى نفسه وإلى طعامه ، فظن أنه لم ينم طويلاً وقال : **(لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ)** ، فقال له الملك : **(بَلْ لَبِثْتَ مائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً)** فأيقن عزير أن العظام التي رآها إنما هي عظام حماره . ثم نظر إلى العظام فوجدها تتحرك ، وتقوم ، وتقترب من

بعضها ، فيتشكل منها الهيكل العظمي للحمار ، ثم تُضَمُّ إليها الأعصاب والأربطة وباقي الأجهـــزة ، ثم يغطيها اللحم والجلد والشعر ، فإذا هو حمار تام بغير حياة ، ثم تنفخ فيه الروح ؛ فتدب فيه الحيـــاة والحركة . وهنا .. قال عزير : (**أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) . وعاد عزير إلى قومه فوجـــد كل شيء قد تغير . فلما رأوه علموا بتلك المعجزة العظيمة التي تظهر قدرة الله سبحانه وتعالى .

حوت يونس

أرسل الله يونس عليه السلام إلى أهل نينوى بأرض الموصل بالعراق ؛ ليهديهم إلى طريق الرشـــاد ؛ فيؤمنوا بالله سبحانه ، لكنهم كذبوه وأصروا على كفرهم وعنادهم ، فلم ييأس يونس واســـتمر في دعوته . ومرّت الأيام ، وقوم يونس لم يؤمنوا بدعوته ، ولم يستجيبوا لله ولرسوله ، فضاق يونس بهم وبأفعالهم ، فخرج من بينهم غاضباً بعد أن أخبرهم أن عقاب الله نازل بهم .

ولما خرج يونس عليه السلام من نينوى ، خاف قومه من عـــذاب الله فخرجـــوا إلى الـــصحراء ، وأخذوا أولادهم وأنعامهم وسجدوا لله ، واعترفوا بذنبهم ، وارتفعت أصواتهم بالـــدعاء ، واشـــتد بكاؤهم ، نادمين على ما صنعوا ، طالبين من الله العفو والمغفرة ، فرحم الله ذلهم ومسكنتهم ، ورفع عنهم العذاب الذي حذّرهم منه يونس عليه السلام ، قال تعالى : (**فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**) [يونس : ٩٨] .

ولما خرج يونس من نينوى في اتجاه البحر ، وجد سفينة توشك على الإقـــلاع ، فركبـــها ، وسارت السفينة حتى وصلت وسط البحر ، وفجأة هبّت العواصف ، وارتفعت الأمواج وأوشـــكت السفينة على الغرق ، فألقى الركاب الأحمال التي معهم في الماء ، لتخف حمولة السفينة ، وتُكتب لهم النجاة ، ولكن السفينة ما زالت معرضة للخطر ، فاستقر أمرهم على أن تُجرى عليهم قرعة ، ومَـــن وقعت عليه ، ألقوه في البحر ، فأجروا القرعة فوقعت على يونس فاستسلم لقضاء الله تعالى ، وعلـــم أن الله أوقع القرعة عليه لحكمة ما ، قال تعالى : (**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْـــكِ الْمَشْحُونِ ، فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ، فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ**) [الـــصافات : ١٣٩ – ١٤٢]

ودون تردد ألقى يونس بنفسه في الماء ، فأرسل الله – سبحانه وتعالى – حوتاً ضخماً ، ابتلع يونس ، وراح يطوف به في البحار .

وجد يونس نفسه وحيداً في بطن الحوت ، فأيقن أنه ميت ما لم تتداركه رحمة الله ، ويتنزل عليه عفو الله ، فأخذ يذكر الله ويسبحه ويحمده ، ويمجده ويوحده ، ويستغفره ، ويقر بالذنب بين يديه : ويقول : **(لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)** .

وأخذت كلمات يونس طريقها إلى الله ﷻ ، واستجاب الله دعاءه ، فأمر الله ﷻ الحوت أن يلقي يونس برفق على الشاطئ ، فأخرجه ، وقد أصابه الضعف والجهد ، فأنبت الله عليه شجرة ليستظل بظلها ، وليأكل من ثمارها ، حتى عادت إليه قوته وعافيته ، قال تعالى : **(فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ، فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ، وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ، وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ، فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)** [الصافات : ١٤٣ – ١٤٨] .

فالمؤمن يستقبل قضاء الله بنفس راضية ، ويصبر على الدعوة إلى الله ، ويوقن أن بعد العسر يسراً ، وأن فرج الله قريب مهما كانت الأزمة شديدة أو الضائقة التي وقع فيها عسيرة .

قصة ميلاد مريم

كان عمران شيخاً كبير السن ، وكانت زوجته لا تلد ، فنذرت إن رزقها الله مولوداً فسوف تجعله خادماً في بيت المقدس .

واستجاب الله – سبحانه – لرجاء امرأة عمران ، فحملت ثم ولدت . لكن المولود كان أنثى ، فسمتها أمها مريم ، ودعت لها أن يحفظها الله هي وأبناءها من الشيطان الرجيم ، يقول تعالى : **(إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)** [آل عمران : ٣٥ – ٣٦] .

ثم أخذت امرأة عمران ابنتها مريم ، وذهبت بها إلى بيت المقدس ، لكي تتربى هناك ، وتخدم بيت الله .

واختلف علماء بني إسرائيل فيمن يكفل مريم ، ويقوم برعايتها ، فكل منهم يريد أن ينال هذا الشرف ، واقترحوا أن يُلقي كل واحد منهم قلمه في الماء ، والقلم الذي يطفو ويسير معاكساً للأقلام الأخرى يكون صاحبه كافل مريم . وبالفعل ألقى كل واحد منهم قلمه في الماء ، ووقع الاختيار على نبي الله زكريا عليه السلام .

وقام زكريا برعاية مريم ، وخصص لها حجرة خاصة بها ، لا يدخل عليها أحد غيره ، ولا يقوم بشئونها أحد سواه ، وكان زكريا دائماً يتفقد شئون مريم في تلك الحجرة ، ويطمئن على أحوالها ، ويدخل بالطعام إليها ، وهي تعبد الله عز وجل قال تعالى : (**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ...**) [آل عمران : ٣٧] .

قصة زكريا ويحيى

تقدم عُمْرُ نبي الله زكريا عليه السلام ، وضعف عظمه ، وشاب شعره ، وكانت زوجته عجوزاً لا تلد . وذات يوم ، دخل زكريا على مريم المحراب ، وهي تعبد الله سبحانه ، فوجد عندها طعاماً ، ولم يكن أحد يدخل على مريم ويقدم لها الطعام سوى زكريا ، فقال متعجباً : (**أَنَّى لَكِ هَـذَا**) ؟ فقالت : (**هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**) .

فدعا زكريا ربه قائلاً : (**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً ، وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً ، يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً**) وبينما كان زكريا يدعو ربه ، نادته الملائكة وهو يصلي في المحراب ، وبشّرته بولد مبارك اسمه يحيى . وأثنى الله – سبحانه – عليه في القرآن الكريم ثناء عظيماً ، فقال تعالى : (**وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً ، وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيّاً ، وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً**) [مريم : ١٣ – ١٥] .

قصة ميلاد عيسى

عاشت السيدة مريم رضي الله عنها في بيت المقدس ، تعبد الله سبحانه ، حتى صارت مثلاً في العبادة والورع والتقوى والطهارة والصلاح ، وكانت ترى في محرابها الكثير من الرزق الوفير الذي يرسله الله

سبحانه إليها . وكانت تسمع أصوات الملائكة تخبرها بأن الله قد فضّلها على النساء ، وتقول لها : **(يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)** .

وذات يوم ، خرجت مريم شرقي المسجد ، فبعث الله إليها جبريل ، وأتاها في صورة بشر ، فخافت ، وقالت له : **(إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً)** ، فأخبرها الملك بأنه رسول من عند الله ، وأن الله – سبحانه – سيرزقها غلاماً زكياً صالحاً اسمه عيسى يكون نبيًّا ، فتعجبت مريم ، وتساءلت : كيف يكون لها غلام وهي لم تتزوج بعد ؟ فأجابها الملك بأن ذلك معجزة من الله – سبحانه - .

وبعد أن بشّر الملكُ مريم بعيسى مضى واختفى ، وأحسّت مريم بآثار الحمل ، وبعد مدة ، شعرت بآلام الوضع والمخاض ، فخرجت من القرية بعيداً عن الناس ، وعند جذع نخلة ولدت ابنها عيسى عليه السلام وتذكرت قومها وما سيقولونه عنها وخوضهم في سيرتها وشرفها ، فأحست بالألم الشديد ، وقالت : **(يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً)** . فسمعت من تحتها صوتاً يناديها ، ويقول لها : **(أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً ، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً ، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً)** . فهزّت السيدة مريم جذع النخلة ، فتساقط عليها الرطب الناضج الطيب ، فأكلت منه وشربت من الماء حتى استعادت قوتها واستردت صحتها ، وحملت ابنها عيسى بين يديها ، ورجعت به إلى قومها ، فلما رأوها تحمله تعجبوا وظنوا بها السوء ، وقالوا لها : **(يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً ، يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً)** فلم ترد عليهم وإنما أشارت إلى طفلها الوليد عيسى ، فتعجب الناس ، وقالوا : **(كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً)** ؟! فأنطق الله – سبحانه وتعالى – الطفل الرضيع ، فقال بلسان فصيح : **(إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ، وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً)** [مريم : ٣٠ – ٣٣] .

ولما سمع اليهود عيسى يتكلم في المهد أصيبوا بالذهول ، وقال بعض من كفر منهم : إن عيسى هو ابن الله سبحانه وتعالى . وادّعى البعض الآخر أن هذا سحر ، واتهموا السيدة مريم بالفاحشة ، وتربص البعض بمريم وابنها ، حتى اضطرت السيدة مريم إلى أن تحمل ابنها عيسى وترحل به من فلسطين إلى مصر ، وعاشت مع ابنها هناك حتى كبر ، ثم عادت به مرة ثانية إلى فلسطين .

ولما كبر عيسى عليه السلام اختاره الله سبحانه ليكون نبيًّا إلى بني إسرائيل ، يهديهم إلى طريق الحق والرشاد ، وأنزل عليه الإنجيل ، فيه الهدى والموعظة لبني إسرائيل .

قصة المائدة

أيد الله – سبحانه – نبيه عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على صدق نبوته ، وعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . وكان عيسى يصنع من الطين على هيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وكان يُحيي الموتى ، ويشفي الأعمى والأبرص بإذن الله . ورغم كل هذه المعجزات لم يؤمن به سوى عدد قليل من الناس ، هم الحواريون ، وكانوا له أنصاراً وأعواناً .

وذات يوم طلبوا منه أن يدعو الله أن يترل عليهم مائدة طعام من السماء ؛ ليأكلوا منها ، وتطمئن قلوبهم ، وتكون لهم عيداً . فوعظهم نبي الله عيسى ، وخاف عليهم ألا يقوموا بشكرها ، فأصروا على طلبهم ، فتوجّه عيسى إلى ربه يسأله سبحانه أن يترل عليهم تلك المائدة : (**اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**) فاستجاب الله دعاء نبيه عيسى عليه السلام وأنزل الله مائدة عظيمة مليئة بالطعام الشهي فأكلوا منها ، وكانت معجزة وآية من آيات الله سبحانه .

قصة رفع عيسى

عندما رأى الناس أن الله يؤيد نبيه عيسى عليه السلام بكثير من المعجزات ، آمنوا بدعوته ، وكثر أتباعه ، فعضب اليهود من ذلك ، وأكثروا من محاربته وإيذائه ، لكن نبي الله عيسى لم يتوقف عن دعوته إلى الله سبحانه ، و لم يكفّ عن إرشاد الناس .

وتجمع أعداء الله ، واتفقوا على التخلص من نبي الله ، وأجمعوا أمرهم على قتله ، لكن الله سبحانه وتعالى كان لهم بالمرصاد ، فحفظه منهم ، ورفعه إلى السماء ولما اجتمعوا ليقتلوه ، جعل الله بقدرته رجلاً من اليهود يشبه عيسى تماماً ؛ فظن اليهود أنه عيسى فأخذوه وصلبوه ، وقالوا : إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم ، وقد ردّ الله زعمهم وافتراءهم ، فقال تعالى : (**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**) [النساء : ١٥٧ – ١٥٨] .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد

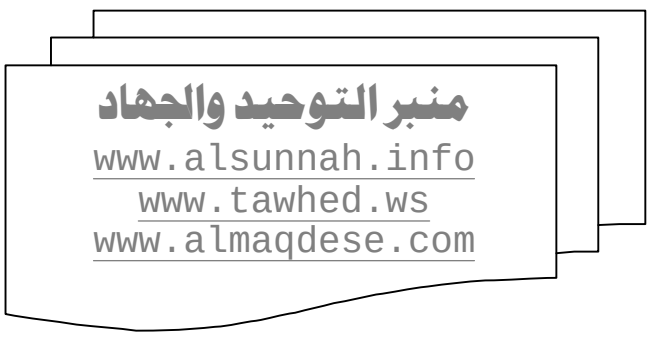

قصص
القرآن الكريم
(٤)

إعداد

عبد العزيز سيد هاشم

عاطف عبد الرشيد

منبر التوحيد والجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

ما أحلى القرآن الكريم ! وما أحسن قصصه ! قال الله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) [يوسف : ٣] .

ومن يقرأ القرآن الكريم يجد فيه آيات كثيرة تتناول قصصاً متنوعة ومفيدة ، منها قصص الأمم السابقة مثل : قوم نوح ، وعاد ، وثمود ... وغيرهم ، ومنها قصص الأنبياء والرسل الذين دعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ومنها قصص لأناس ليسوا بأنبياء ، لكنهم آمنوا بالله ودعوا قومهم لعبادته ، ووقفوا مع الحق أمام الباطل .

وموضوعات قصص القرآن متعددة ، والمسلم العاقل الرشيد هو الذي يتعلم من القصص القرآني العبرة والعظة ، فيزداد إيمانه بالله سبحانه ، ويثق في أن الإسلام هو دين الله الذي يُصْلِح الله به الكون .

قلنبدأ أيها الأحبة بقراءة قصص القرآن الكريم ، كما تحكيها لنا آيات القرآن ، يقول الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [يوسف : ١١١] .

قصة أصحاب الفيل

كان العرب قبل الإسلام يزورون الكعبة ، ويأتون إليها من كل مكان ، وأراد أبرهة الحبشي – حاكم اليمن - أن يصرف العرب عن الكعبة ، فبنى في اليمن كنيسة عظيمة ، ليزورها الناس بدلاً من الكعبة .

ودعا أبرهة الناس إلى أن يحجُّوا كل عام إلى تلك الكنيسة ، ولكن الناس رفضوا ذلك ، و لم يذهب أحد إليها ، بل إن أحد العرب دخلها على غفلة من أهلها ، فقضى حاجته بداخلها ، ثم انصرف .

فلما علم أبرهة بذلك ، غضب غضباً شديداً ، وأقسم أن يهدم الكعبة .

وانطلق أبرهة بجيش هائل ، وضع في مقدمته فيلاً ضخماً ليبث الرعب في قلوب العرب ، ويستخدمه في هدم الكعبة .

ولما اقترب الجيش من أرض مكة ، أخذ عبد المطلب – سيد قريش وزعيمها – ومعه نفر من قريش يدعون ربهم أن يحمي بيته من هؤلاء الظلمة المعتدين .

وبينما أبرهة يزهو ويتفاخر بجيشه ، وهو يظن أنه قادر على هدم بيت الله ، إذا بالمفاجأة تنتظره .

لقد عاقب الله أبرهة وجنوده عقاباً شديداً على تطاولهم وجرأتهم على بيته الحرام الذي جعله رحمة للعالمين ، فأرسل الله عليهم طيوراً كثيرة ترميهم بأحجار صغيرة من النار حتى أهلكتهم وجعلتهم كأوراق الشجر المتآكل .

واستحق أبرهة ذلك الجزاء لأنه تكبر وعلا في الأرض ، وأراد أن يفسد فيها ، وتجرأ على حرمات الله ، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر . يقول تعالى : (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ**) [سورة الفيل] .

وفي هذا العام – الذي يسمى عام الفيل – ولد رسول الله ﷺ بعد أن مات أبوه عبد الله وهو في بطن أمه ، ففرح به جده عبد المطلب فرحاً شديداً وتكفل به .

قصة الرسول والوحي

كان رسول الله ﷺ يتعبد في غار حراء قبل أن يترل عليه الوحي ، وفي إحدى المرات نزل عليه ملك الوحي جبريل بقوله تعالى : (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) [العلق : ١ – ٥] فذهب الرسول مسرعاً إلى زوجته خديجة ، وقال لها : " زملوني .. زملوني " . فغطوه ، وحكى لها النبي ﷺ ما حدث ، فطمأنته وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان عالماً بالنصرانية ، فأخبره بأن هذا هو جبريل الملك الذي يترل على الأنبياء .

وذات يوم كان الرسول ﷺ يسير في الطريق ، فشاهد جبريل في السماء ، فأسرع إلى بيته ، وقال لزوجته خديجة : " زملوني " ، فأنزل الله تعالى عليه القرآن الكريم يأمره بتبليغ الإسلام إلى الناس

، وتلا عليه جبريل قول الله تعالى : (**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ، قُمْ فَأَنذِرْ ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**) [المدثر : ١ – ٥] .

وانقطع الوحي فترة من الزمن ، فقال الكفار : إن رب محمد قد جفاه ، فنزل قول الله تعالى : (**وَالضُّحَى ، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**) [الضحى : ١ – ٣] .

قصة دعوة الرسول لقومه

ظل النبي ﷺ يدعو أهل مكة إلى الإسلام سرًّا حتى نزل قول الله تعالى : (**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**) [الشعراء : ٢١٤] ، فخرج النبي ﷺ من بيته ، وتوجَّه إلى جبل الصفا ، فصعده ، وأخذ ينادي في أهل مكة حتى تجمعوا حوله .

فقال لهم : " أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ ؟ " . فقالوا : ما جربنا عليك كذباً . فقال ﷺ : " فإني نذير لكم بين يديي عذاب شديد " ، فاغتاظ أبو لهب – عم الرسول – وقال : تبًّا لك ، ما جمعتنا إلا لهذا ؟ فنزل قول الله تعالى ردًّا على أبي لهب : (**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ، سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ، فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**) [سورة المسد] .

واشتد كفار مكة في معاداتهم لرسول الله ﷺ والرسول يتحمل ذلك بصبر جميل ، ويستمر في دعوته .

قصة الرسول والأعمى

كان رسول الله ﷺ يجلس مع جماعة من سادة قريش ، يعرض عليهم الإسلام ، فدخل عليه عبد الله بن أم مكتوم يسأله في أمر من أمور الدين ، وهو لا يدري أن الرسول ﷺ مشغول بغيره ؛ لأنه كان أعمى ، فتضايق الرسول ﷺ ، وظهر ذلك على وجهه عندما قطع عبد الله حديثه ؛ فأنزل الله الوحي على نبيه يعاتبه عتاباً رقيقاً على ذلك الموقف ، يقول تعالى : (**عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَن جَاءهُ الْأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ، فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ،**

وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ، وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى ، وَهُوَ يَخْشَى ، فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ، كَلَّا إِنَّهَا تَــذْكِرَةٌ) [عبس : ١ – ١١] .

وكان النبي ﷺ يرجو من عبد الله أن ينتظر قليلاً ، حتى يفرغ من شأن سادة قريش ، رجاء أن يسلموا أو يسلم بعضهم ، فيكون عوناً للإسلام وللمسلمين ، فنزلت الآيات ترشد إلى أن من أقبــل على الإسلام بقلبه وكيانه كله هو الأحق والأجدر بالاهتمام بأمره .

قصة الهجرة

كان النبي ﷺ يعرض الإسلام على القبائل التي تأتي إلى مكة لزيارة الكعبة . وفي السنة الحادية عشرة من البعثة ، لقي ﷺ رجالاً من يثرب (المدينة المنورة) ، فدعاهم إلى الإســلام فأســلموا ، وواعدوه أن يدعوا قومهم ويأتوه في العام القادم .

وفي السنة الثانية عشرة من البعثة ، جاء اثنا عشر رجلاً ، وقابلوا النبي ﷺ عند مكان بين منًى ومكة اسمه العقبة ، فأعلنوا إسلامهم ومبايعتهم للنبي ﷺ ، ثم انصرفوا إلى المدينة ، ومعهم مصعب بن عمير ليعلِّمهم القرآن وأركان الإسلام . وفي العام التالي جاءوا ، وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجــلاً وامرأتين ، وبايعوا الرسول ﷺ عند العقبة ، ثم أذِنَ الرسول ﷺ لأصحابه في الهجرة ، فهــاجروا إلى المدينة ، وانتظر الرسول ﷺ حتى يأتيه الإذن من الله سبحانه ، وجاء الإذن لرسول الله ﷺ بالهجرة ، فاختار النبي ﷺ أبا بكر الصديق ليرافقه في تلك الرحلة المباركة .

فلما علمت قريش بهجرة المسلمين تجمعوا ، وأرادوا قتل رسول الله ﷺ ، ووقفوا على بــاب داره ينتظرون خروجه .

وخرج الرسول ﷺ من بينهم ، وقد ألقى الله سبحانه النوم على المشركين ، يقول تعــالى : (**وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُــمْ لا يُبْــصِرُونَ)** [يّـــس : ٩] وانطلق النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر إلى المدينة .

وفي الطريق ، مكثا في غار ثور ثلاثة أيام ، وخرج المشركون وراءهما يبحثون عنــهما حــتى وصلوا إلى غار ثور ، وسمع الرسول ﷺ وأبو بكر أقدام المشركين فخاف أبو بكر على رســول الله ﷺ ، وقال له : لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا . فقال له الرسسول ﷺ : " يا أبا بكر ! ما ظنــك

باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن إن الله معنا " فأعمى الله سبحانه أبصار المشركين ، و لم يظنوا أن بالغـــار أحداً ، وذهبوا بعيداً عنه .

ثم خرج الرسول ﷺ وصاحبه أبو بكر ليواصلا الرحلة إلى المدينة ، قال تعالى : (**إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْـــزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [التوبة : ٤٠] .

قصة المخلفين الثلاثة

خرج رسول الله ﷺ والمؤمنون إلى غزوة تبوك ، و لم يتخلف عن الخروج للجهاد إلا المنافقون والمرضى والضعفاء .

لكن ثلاثة من المؤمنين الصادقين تخلّفوا عن هذه الغزوة ، و لم يكن لهم عذر ، وهم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية .

وبعد عودة الرسول ﷺ من الغزوة إلى المدينة ، أسرع المنافقون إليه وهم يختلقـــون الأعـــذار الكاذبة ليقنعوا الرسول ﷺ بها ، فكان النبي ﷺ يقبل أعذارهم مع علمه بخداعهم ومكرهم ، وجـــاء الدور في الاعتذار على كعب ومرارة وهلال ، فلم يكذبوا على النبي ﷺ ، ولكنهم اعترفوا بذنبـــهم وتقصيرهم في حق الله عز وجل ، وقالوا الصدق .

وبعدها صدر الأمر من النبي ﷺ للمسلمين بمقاطعة هؤلاء الثلاثة ، فـــلا أحـــد يعاملـــهم أو يتحدث معهم ، فكانوا يسيرون بين الناس كأنهم غرباء ، حتى إنهم كانوا إذا ألقوا السلام على أحـــد لم يُسْمِعْهُم رده ، فعاش هؤلاء الثلاثة أياماً عصيبة ، وعلم أعداء الإسلام أن النبي ﷺ قد قاطع بعض اصحابه ، فبعث ملك غسان – وهو من أعداء الإسلام – برسالة إلى كعب بن مالك يقول فيهـــا : أما بعد ، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك (أبعدك) ، و لم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالْحَقْ بنا نُواسِك (نقف بجانبك) . ولكن كعباً الذي شعر بذنبه ، وندم عليه لم يكن ليفعل ذنباً أقبح منه ، وينصر أعداء الله على رسول الله ، وعرف أن هذا ابتلاء من الله له ، فانتصر على نفسه هذه المـــرة وألقى الرسالة وأحرقها في النار .

وبعد مرور أربعين ليلة من المقاطعة ، بعث النبي ﷺ رسولاً إلى كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ليأمرهم أن يهجروا زوجاتهم ، ففعلوا جميعاً ، إلا أن امرأة هلال بن أمية استأذنت الرسول ﷺ في أن تمكث مع زوجها لتخدمه ؛ لأنه رجل كبير في السن ، فوافق النبي ﷺ بعد أن اشترط عليها ألا يقربها زوجها . ومر على هذه الحال عشر ليال أخرى فتمت المقاطعة خمسين ليلة .

وفي أثناء هذه المدة ، بلغ الضيق والهم من الثلاثة مبلغه حتى ضاقت عليهم أنفسهم ، وأُغلقت السبل كلها في وجوههم ، وعلموا أنه لا مُنْقِذ لهم من هذا إلا الله ، فقبل الله سبحانه وتعالى توبتهم لصدقهم وإخلاصهم .

وفي صباح الليلة الخمسين ، وبعد أن صلى كعب الفجر على سطح بيته ، إذا به يسمع صوتاً من بعيد : يا كعب ! يا كعب ! أبشر فقد تاب الله عليك . ففرح كعب بهذه البشرى فرحاً شديداً ، حتى إنه خلع الثوب الذي يرتديه وأهداه لصاحب البشرى .

ثم ذهب الناس يبشرون الاثنين الآخرين ، فخرج كعب متوجهاً إلى مسجد الرسول ﷺ ، فلما وصل إلى المسجد وجد رسول الله ﷺ يجلس وحوله أصحابه ، فقام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه وصافح كعباً وهنَّأه ، ثم ذهب كعب ليسلِّم على الرسول ﷺ ، فرأى وجه النبي ﷺ مملوءاً بالسرور والفرح ، فقال لكعب : " أَبْشِرْ بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك " . فقال كعب : أَمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ فقال ﷺ : " بل هو من عند الله " . ففرح المسلمون جميعاً .

قال تعالى : (**وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**) [التوبة : ١١٨ – ١١٩] .

قصة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة

هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ، وجلس عند أبي أيوب الأنصاري ، وأسس الرسول ﷺ المجتمع الإسلامي في المدينة ؛ حيث بنى مسجده الشريف ، وأصلح بين قبيلتي الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وكتب معاهدة سلام مع اليهود .

وفي السنة الثانية من الهجرة ، حارب المسلمون مشركي مكة في غزوة بدر ، وكانت معركة فاصلة انتصر فيها المسلمون انتصاراً حاسماً . قال تعالى : (**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) [آل عمران : ١٢٣] . وتوالت الغزوات : أُحُد والخندق ، وطرد الرسول ﷺ اليهود من المدينة لخيانتهم ، ثم كان فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة ، وفي يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة توفي رسول الله ﷺ بعد أن أكمل الله به الدين وأتم به النعمة ، وانتشر دين الإسلام .

قصة أهل الكهف

في قديم الزمان ، كان هناك فتية يعبدون الله سبحانه ، وكان قومهم يعبدون الأصنام ؛ وقد أنعم الله على هؤلاء الفتية بالعقل الراجح ، وأنار قلوبهم بالإيمان ، فابتعدوا عن عبادة هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر .

وعلم الكافرون بخبر الفتية ، فاضطهدوهم وحاولوا إجبارهم على عبادة الأصنام ، لكنهم ثبتوا على إيمانهم ، وأعلنوا أمام الجميع أن العبادة لا تكون إلا لله وحده ، يقول تعالى : (**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا**) [الكهف : ١٣ – ١٤] .

لكن الكفار ازدادوا في إيذائهم ، وهدّدوهم بالقتل ؛ فخاف الفتية أن يفتنهم قومهم ، ويردوهم إلى ظلمات الكفر . فاتفقوا على أن يعتزلوا قومهم ، ويفروا بدينهم من تلك الفتنة ، واتجهوا إلى كهف يحتمون به من هؤلاء المشركين ، واصطحب أحدهم معه كلبه الأمين ، يقول تعالى : (**هَؤُلَاء قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**) [الكهف : ١٥ – ١٦] .

ولما دخلوا الكهف ألقى الله عليهم النوم فناموا ، ومعهم كلبهم باسط ذراعية وراقد على باب الكهف .

وأراد الله سبحانه أن يجعلهم آية وعظة لمن يتشككون في البعث بعد الموت مرة أخرى ، فأنامهم الله زمناً طويلاً ، قال تعالى : (**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**) [الكهف : ٢٥] أي ثلاثمائة وتسع سنوات هجرية ، وهي تعادل ثلاثمائة سنة شمسية تقريباً .

وقد حفظهم الله سبحانه ؛ فلم تأكل الأرض أجسادهم ، وكانوا يتقلّبون يميناً وشمالاً ، وكانت تدخل الشمس عليهم كهفهم عند الشروق وعند الغروب ، يقول تعالى : (**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ، وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**) [الكهف : ١٧ – ١٨] .

وكان منظرهم وهم نائمون يدعو إلى الرعب . وظلوا على تلك الحال حتى بعثهم الله من نومهم ، فأخذوا يتساءلون عن المدة التي ناموها ، يقول تعالى : (**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ**) [الكهف : ١٩] . فاعتقدوا جميعاً أنهم ناموا يوماً كاملاً أو جزءاً من يوم ، وأحسُّوا بالجوع ، فأرسلوا واحداً منهم ببعض المال ليشتري لهم طعاماً ، وأوصوه بالحذر حتى لا يقع في أيدي الكفار ، فيعثروا عليهم ، ويعيدوهم إلى الكفر بالقوة .

فدخل الرجل القرية متخفياً في حذر شديد ؛ حتى لا يتعرف عليه أحد ، فينكشف أمره . ووقف عند أحد الباعة ليشتري منه بعض الطعام ، والناس يتابعونه بنظراتهم . وعندما أخرج النقود للبائع ، نظر البائع إليها في دهشة ، وقال له : ما هذه النقود ؟ ومن أين أتيت بها ؟ وكانوا لا يتعاملون بتلك العملة القديمة . فارتبك الرجل ، وظهرت على وجه علامات القلق ، فعرف البائع حقيقة الرجل وشاع خبره بين الناس ، وعلموا منه القصة .

وكان أهل ذلك الزمان أناساً صالحين فصدقوا قصته ، وعلموا أنه أحد الفتية الذين رحلوا من المدينة أيام الحاكم الظالم . وعرف القوم أن هؤلاء هم الفتية الذين فرُّوا بدينهم منذ ثلاثمائة سنة ، وأدركوا أن ما حدث لهم آية من آيات الله ، بل ومعجزة من معجزاته الكبرى التي تدل على أنه لا شك في البعث بعد الموت يوم القيامة . فأخذوا الرجل معهم ، وذهبوا إلى الكهف حتى يلتقوا بهؤلاء الفتية الصالحين ، فيشاهدوا تلك المعجزة بأعينهم . ولم يقضِ القوم معهم وقتاً طويلاً ، فقد جاء الأجل ، وأمات الله أهل الكهف بعد أن أدوا مهمتهم العظيمة في الحياة ، وتركوا للناس العبرة والعظة

، يقول تعالى : (**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا**) [الكهف : ٢١] . واختلف الناس في أمرهم ، فمنهم من قال : سُدُّو عليهم الكهف ، وابنوا عليهم بنياناً ، واتركوا أمرهم لله ، ومنهم من أراد أن يبني على مكانهم مسجداً . يقول تعالى : (**إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**) [الكهف : ٢١] .

قصة ذي القرنين

ذو القرنين عبد من عباد الله الصالحين ، آتاه الله المُلْك وعُرِفَ بالتقوى ، فكان يحكم بين الناس بالعدل ، وينصر المظلوم ، ويعاقب الظالم . وقد مكّن الله سبحانه له في الأرض ، وآتاه من كل شيء سبباً ، فصار ينشر دين الله ، ويحقق العدل في مشارق الأرض ومغاربها .

وقد مرّ ذو القرنين على أقوام ضعفاء ، يهجم عليهم قوم يأجوج ومأجوج ، قلا يتركون مالاً إلا أخذوه ، ولا خيراً إلا نهبوه ، ولا زرعاً إلا أهلكوه .

وكانت هجماتهم تتكرر من وقت إلى آخر على هؤلاء القوم البسطاء ، الذين لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم الشر ، أو يمنعوا ذلك العدوان .

فلما رَأَوْا ذا القرنين ، أسرعوا إليه مستنجدين به أن يخلصهم من أولئك الظالمين ، وقالوا له : (**يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**)

فوافق ذو القرنين على مساعدتهم ، ولكنه رفض أن يأخذ منهم أجراً ؛ ليكون عمله خالصاً لوجه الله ، فقال لهم : (**مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**) ، وتفحّص ذو القرنين المكان بعناية حتى وجد مكاناً بين جبلين ، كان يدخل منه يأجوج ومأجوج على هؤلاء القوم ، أما بقية الأماكن حول القرية فكانت جبالاً وَعِرَة يصعب تسلقها أو عبورها .

فهداه تفكيره إلى أن يقيم سدًّا بين الجبلين ، ثم طلب منهم أن يشعلوا النيران ويصهروا فيها الحديد ، وعندما فرغ من بناء السد صبّ عليه النحاس السائل فزاده قوة وصلابة .

وبعد ذلك حاول قوم يأجوج ومأجوج أن يهجموا عليهم كالعادة ، ولكنهم فوجئوا بالسد أمامهم ، فحاولوا أن يخترقوه أو يصعدوا من فوقه ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ، وارتدوا على أعقابهم خائبين .

وفرح القوم البسطاء بهذا السد المنيع ، وعادوا ينعمون بحياتهم الآمنة مرة أخرى .

أما ذو القرنين فقد سعد بتوفيق الله وعونه له ، وقال : **(هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا)** .

قصة المؤمن والكافر

ذكر القرآن الكريم قصة رجلين ؛ أحدهما مؤمن بربه ، والآخر كافر ، وكلن للمؤمن مال قليل ، أما الكافر فقد رزقه الله مالاً وفيراً ، وأولاداً كثيرين ؛ فكانت له حديقتان كبيرتان من أشجار العنب ، وقد أحاطهما بالنخيل ، وكان يجري بين البساتين نهر ماؤه عذب ، وقد امتلأت الحديقتان بالزروع والثمار المختلفة .

ودخل الكافر حديقتيه اللتين كثرت فيهما الزروع ، واعتقد أن تلك النعم لن تزول عنه أبداً ، وأنه صاحب الفضل في كثرة ولده ووفرة ماله ، وأنه إنما استحق كل هذا الخير نتيجة لذكائه وعلمه ، يقول تعالى : **(وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا)** [الكهف : ٣٥ – ٣٦] .

واغترّ الرجل بما رأى في حديقتيه من الزروع والثمار والأشجار والأنهار الكثيرة ، فظن أنها لا تفنى ولا تهلك ، وخرج فلقي الرجل المؤمن فتكبّر عليه وعيَّره بفقره وقلة ولده ، وقال له : **(أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً)** .

ثم ازداد الرجل كفراً وجحوداً لنعمة الله ؛ فأنكر البعث والقيامة ، وكفر بالله الذي خلقه ورزقه .

ودخل المؤمن معه في حوار حول الإيمان بالله والتصديق بالبعث وكيفية شكر النعمة ، وقال له : **(أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ، لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ، وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا**

وَوَلَدًا ، فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ، أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) .

فما كان لك أيها الكافر الضال أن تكفر بالله الذي خلقك من قبل و لم تَكُ شيئاً ، وما كان لك أن تُكذِّب بالبعث ، فالذي خلقك أول مرة قادر على أن يعيدك بعد الموت ، وهو أهون عليه ، ويجب عليك أن تشكر الله الذي أنعم عليك بتلك النعمة ، وماذا لو أراد الله تعالى أن يهلكك ومالك ومَن في الأرض جميعاً ؟ أكنتَ تقدر أن تمنع قضاء الله تعالى بما لديك من قوة ، أو ترد قدره بما عندك من علم قليل ؟!

لكن الكافر لم يسمع لقوله ، و لم ينتفع بنصحه ، فأصرّ على كفره ، وتمادى في عناده .

وفي إحدى الليالي ، أرسل الله سبحانه إعصاراً مدمراً على حديقتي الكافر فاقتلع الأشجار ، وأهلك الزرع والثمار ، وتركها خاوية على عروشها ، لا يكاد يصدق من يراها اليوم أنها كانت بالأمس جنة مزهرة .

وطلع الصباح ، ورأى الكافر الخراب الذي حل به **(فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ، وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا)** [الكهف : ٤٢ – ٤٣] .

وهنا .. علم الكافر أن الله هو الخالق الحقيقي ، وأنه هو الرّزّاق الحقيقي ، وأنه المحيي المميت الحي القيوم .

وعلى الإنسان أن يعترف بفضل الله عليه ، ولا يشرك به أحداً ، ويوقن أن هناك يوماً يُبعث الناس فيه ، ثم يُعرضون للحساب ، فيجزون على ما قدّموه في حياتهم ، فمن عمل منهم خيراً وجد خيراً ، ومن عمل شرًّا ندم حيث لا ينفع الندم . **(هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا)** [الكهف : ٤٤] .

قصة أصحاب القرية

أرسل الله سبحانه رسولين إلى قرية من القرى ، كان أصحابها يعبدون الأصنام ويتركون عبادة الله سبحانه ، فلما ذهب الرسولان إلى أهل هذه القرية ، قاما بدعوتهم إلى عبادة الله ، لكن أهل القرية كذّبوا الرسولين وازدادوا كفراً وعناداً ، فأرسل الله إليهم رسولاً ثالثاً ليؤكد دعوة أخويه

المرسلين ، فلم يستجب أهل القرية ، بل كذبوا الرسل الثلاثة ، وقالوا لهم : (**مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ**) فقال لهم المرسلون : (**رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ، وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**) .

فازداد أهل القرية كفراً وتكذيباً ، وهدّدوا الرسل الثلاثة بأنهم سوف يرجمونهم ويعذبونهم إن لم ينتهوا عن دعوتهم . وبينما هم كذلك جاء رجل من القرية ، وكان قد أسلم واتبع الرسل الثلاثة ، فأسرع إلى قومه يحثهم على الإيمان ، ويقول لهم : (**يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ، اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ**) .

وأخذ يدعو قومه إلى الإيمان بالله سبحانه ، ويبين لهم عاقبة عبادة الأصنام ، فقال لهم : (**وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ، أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ ، إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ، إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ**) ، فلم يستجب قومه لنصيحته و لم يهتموا بكلامه ، وأخذوا يضربونه ويعذبونه حتى قتلوه ، فجعل الله الجنة مثواه ومأواه .

ثم أنزل الله سبحانه العذاب على أصحاب هذه القرية ؛ فأرسل عليهم صيحة واحدة أهلكتهم ، فماتوا جميعاً . يقول تعالى : (**إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ**) [يّس : ٢٩] .

قصة أصحاب الجنة

هم إخوة مات أبوهم ، وترك لهم بستاناً جميلاً فيه الكثير من الثمار ، وكان هذا الأب صالحاً كريماً ، يعطف على الفقراء والمساكين .

فلما مات الأب ورث أولاده هذا البستان ، وعاشوا جميعاً في انتظار يوم الحصاد ليبيعوا ويكسبوا من ورائه أموالاً كثيرة .

وجاء يوم الحصاد المنتظر ، وحرص الأبناء على حرمان الفقراء من ثمار هذا البستان ، واتفقوا على أن يستيقظوا مبكّرين ؛ ليجمعوا الثمار والمحصول من بستانهم قبل أن يأتي إليهم الفقراء والمساكين ، يقول تعالى : (**فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ ، أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ، فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ، أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ، وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ**) [القلم : ٢١ – ٢٥] .

فلما وصلوا إلى مكان بستانهم ونظروا حولهم لم يجدوا إلا خراباً ودماراً ؛ لقد تحوّل بستانهم الجميل إلى أرض ليس فيها زرع ، فتشككوا في أمرهم .

ومن شدة دهشتهم حسبوا أنهم ضلوا الطريق . ولما زال عنهم أثر المفاجأة ، وتأكدوا من خراب أرضهم وهلاك زرعهم ، فعلموا أن الخراب الذي لحق بهم إنما هو عقاب لهم أنزله الله ببستانهم ليلاً وهم يدبرون أمرهم ، يقول تعالى : (**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**) [القلم : ١٩ – ٢٠] .

ودخل الإخوة في عتاب شديد ولوم عنيف ، يريد كل منهم أن يبرِّئ نفسه ، ويلقي باللوم على الآخرين . وتعالت الأصوات ، فقال أحسنهم سلوكاً وأرجحهم عقلاً : (**أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ**) ؟ وهنا يعود إل

يهم رشدهم ، ويعلمون أنهم إنما حُرموا الرزق بذنبهم ، فاعترفوا بذنبهم ، وقالوا : (**سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**) ، وأخذ يلوم بعضهم بعضاً على ما فعلوا ، ويقولون : (**يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ، عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ**) .

فالله سبحانه لا يضيع عنده حق الضعيف أبداً ، وقد انتقم للفقراء والمساكين ، وحلَّ العذاب والعقاب بهؤلاء نتيجة ذنبهم ليتوبوا ، ومن أصرّ وأسرف كان له العذاب في الدنيا والآخرة .

قصة أصحاب الأخدود

في قديم الزمان ، عاش ملك ظالم ، وكان له ساحر ، فلما كبر الساحر ، قال للملك : إني قد كبرت سني ، فابعث إليّ غلاماً لأعلّمه السحر . فبحث الملك عن غلام ذكي ، وبعث به إلى الساحر ليتعلم منه .

وكان في الطريق بين بيت الغلام وبين الساحر راهب يعبد الله سبحانه ، فجلس عنده الغلام ، وسمع كلامه عن الإيمان وعبادة الله الواحد الأحد ، فانشرح قلبه لنور الإيمان ، وظل يتردد على الراهب ، ويقضي معه وقتاً طويلاً يتعلم منه .

فكان إذا أتى أهله متأخراً ضربوه ، وقالوا له : أين كنت ؟ وما الذي يؤخرك عنا ؟ وإذا أتى الساحر ضربه أيضاً لتأخُّره ، فاشتكى إلى الراهب ، فأشفق عليه ، ثم قال له : يا بُنيّ ، إذا أراد أهلك

أن يضربوك ، فقل لهم : كنت عند الساحر . وإذا أراد الساحر أن يضربك ، فقل له : كنتُ عند أهلي .

وفي يوم من الأيام ، كان الغلام سائراً ، فوجد الناس واقفين ، وقد ملأهم الخوف ، وانتابهم الفزع ، فنظر فإذا وحش مفترس قطع عليهم الطريق ، فلم يجرؤ أحد على المرور . فقال الغلام : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ، فأخذ حجراً ثم قال : اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، ثم رمى الوحش بالحجر ؛ فوقع قتيلاً .

تهلل وجه الغلام من الفرحة ، وأسرع إلى الراهب ، فقص عليه ما حدث ، فأشفق الراهب على الغلام وعلم أنه سيتعرض للبلاء ، فقال في نبرة ملؤها الرحمة والأخلاص : أي بني ، أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلَى ، فإن ابتُليتَ فلا تدل عليّ .

وجعل الله شفاء الناس على يد الغلام ، فكان يشفي الأعمى والأبرص وسائر الأمراض بإذن الله ، وذاع صيت الغلام في المدينة .

وكان للملك جليس أعمى ، فلما سمع بأمر الغلام ذهب إليه ومعه أثمن الهدايا ، وقال له : كل هذه الهدايا لك إن أنت شفيتني .

فقال الغلام : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله تعالى ، فإن آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك .

فآمن الرجل ، فدعا له الغلام فشفاه الله . وذهب الرجل إلى مجلس الملك ، واتخذ مكانه المعتاد ، فلما رآه الملك ، سأله في دهشة : مَن ردّ عليك بصرك ؟ فقال : ربي . قال الملك : أو لك رب غيري ؟ قال الرجل : ربي وربك الله .

وقعت الكلمات على رأس الملك كالصاعقة ، وأمر بتعذيب الرجل ، فعذبوه عذاباً شديداً ، حتى دلّ على الغلام ، فأحضروه للملك ، فقال له الملك : أي بني ، قد بلغ من سحرك أن تُبرِئ الأكمه (تشفي الأعمى) والأبرص ، وتفعل وتفعل ؟ فردّ الغلام بحزم : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله تعالى . فاشتعل الملك غيظاً ، وصرخ منادياً حرّاسه ، وأمرهم بأن يأخذوا الغلام ويعذبوه أشد العذاب ، فعذبوه حتى دل على الراهب .

فذهبوا إلى الراهب ، فساقوه إلى الملك ، فأمره أن يرجع عن دينه فرفض ، فوُضِع المنشار على رأسه عسى أن يخاف ويكفر بربه ، ولكنه ازداد إصراراً على إيمانه ، فشقه نصفين ، وفعل نفس الشيء مع جليسه .

وبالرغم من ذلك لم يهتز الغلام ، وثبت على إيمانه ، فلما رأى الملك أن لا فائدة من تخويفه ، أمر جنوده بأن يأخذوه ويلقوه من أعلى الجبل إن لم يرجع عن دينه ، فلما أقدموا على ذلك ، قال الغلام : اللهم اكفنيهم بما شئت . فاهتز الجبل بهم ، فوقعوا جميعاً . وعاد الغلام سالماً إلى الملك ، فلما رآه قال متعجباً : ما فعل أصحابك (يقصد الحراس الذين صحبوه) ؟ فقال الغلام بثقة : كفانيهم الله تعالى .

فأمر الملك أن يحملوا الغلام في سفينة إلى عرض البحر ، ثم يرموا به هناك ليغرق ، فلما ذهبوا به ، قال : الله اكفنيهم بما شئت . فانكفأت بهم السفينة ، فأغرقهم الله ، وجاء الغلام يمشي إلى الملك ، فسأله الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال الغلام : كفانيهم الله تعالى .

ثم قال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به ، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني .

فسأله الملك : ما هو ؟ قال الغلام : تجمع الناس في صعيد (مكان) واحد ، ثم تصلبني على جذع ، وتأخذ سهماً من كنانتي ، ثم تقول : باسم الله رب الغلام ، ثم ارمِ به ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني .

واحتار الملك في أمر هذا الغلام ، ولم يستطع أن يفهم ما يقصده ، إلا أنه رأى أن يتخلص منه ، فجمع الناس ، وصلب الغلام على جذع شجرة ، وأخذ سهماً من سهام الغلام ، ووضعه في القوس ، وشد الوتر ، وصوب السهم نحو صدغ الغلام ، ثم رفع صوته بحيث يسمعه جميع الناس ، وقال : باسم الله رب الغلام ، ثم رماه به ، فأصابه ، فوضع الغلام يده على موضع السهم ، ثم مات . فلما رأى القوم ذلك قالوا : آمنا برب الغلام .

فقال أصحاب الملك : أرأيتَ ما كنت تحذر ، لقد آمن الناس كلهم .

فاشتعل قلب الملك غيظاً ، وأمر بتعذيب هؤلاء القوم والتنكيل بهم ، حتى يرجعوا عن دينهم ، ولكنهم ثبتوا على إيمانهم ، وصبروا على ذلك البلاء .

وأدرك الملك أن العذاب لن يثنيهم عن عزمهم ، فأمر جنوده بأن يحفروا أخاديد (حُفَراً عميقة) ، ويشعلوا فيها نيراناً هائلة ، ثم يُحضروا من آمن بالله إلى النار ، فمن رجع منهم عن دينه تركوه ، ومن ثبت ألقوه فيها ، وجلس هو وحاشيته ليشاهدوا عذاب المؤمنين .

وقد ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الأخدود ، فقال تعالى : **(وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ، قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا**

قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ، إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) [البروج : ١ – ١٠] .

و لم يرجع عن دينه أحد ممن آمن ، فأخذ الكفار يلقونهم في النار أفواجاً ، والمؤمنون ثابتون ، لا يهابون الموت ، ويقبلون عليه بقلوب مطمئنة ، وهم على يقين من أن الله سبحانه يدخر لهم خيراً من الدنيا وما فيها : جنات عرضها السماوات والأرض ، ونعيماً دائماً لا يزول .

وتوعّد الله أصحاب الأخدود – الملك وأتباعه – بسوء العاقبة جزاء كفرهم وإصرارهم على المعصية ، فاستحقوا ما أعده الله لهم من العذاب الأليم .

خاتمة

هذه بعض قصص وحكايات القرآن الكريم التي كانت تنزل على النبي ﷺ لتخفف عنه ما يواجهه من أذى وتكذيب ، وتساعده على مواصلة الجهاد من أجل إعلاء راية الإسلام .

وكل قصة من هذه القصص آية وعلامة على قدرة الله على كل شيء ، وهي أيضاً معجزة يدافع الله بها عن المؤمنين ، ويبطل بها كيد الكافرين .

والمسلم يقرأ هذه القصص ببصره ، ويعيها ببصيرته ، ويأخذ منها ما ينفعه في الدنيا والآخرة ، ويجعل منها هادياً له ومعيناً على تحمّل الشدائد والصعاب ، ويقرؤها ليستخلص منها الدروس التي تثبّت إيمانه .

ولنا في قصص القرآن الكريم العبرة والعظة ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)** [يوسف : ١١١] .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد